سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّةِ ٢

العِفَّةُ الاِجْتِماعِيَّة

مُقارَبَةٌ أَخْلاقِيَّةٌ اجْتِماعِيَّة

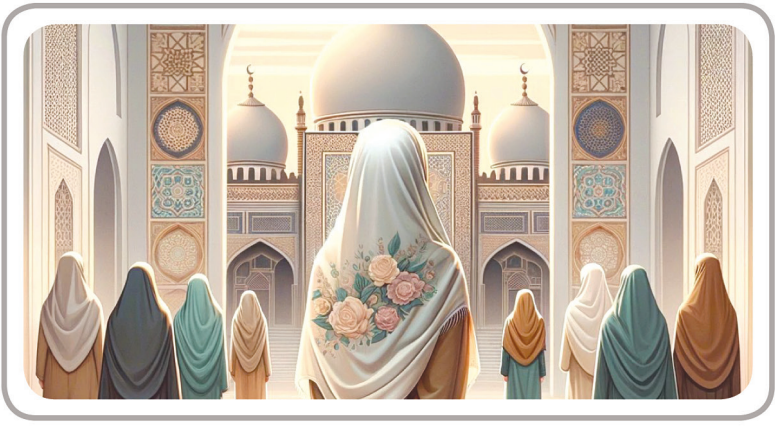

■ زينة الجمّال

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

■ العِفَّة الاجتماعيَّة مقاربة أخلاقيَّة اجتماعيَّة

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٥هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحُوثِ
بيروت - بغداد
Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّةِ ٢

العِفَّةُ الاِجْتِماعِيَّة

مُقارَبَةٌ أَخْلاقِيَّةٌ اجْتِماعِيَّة

زينة الجمّال

مَركَزُ بَراثا للدِّراسَاتِ وَالبُحُوثِ
بَيروتُ - بَغدادُ

سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّة

في عـصر خيّم فيه ظلام النفعية والتفكير المادي ومحورية الأنا، أصبح من الـضروري إعادة تقديم المنهج الأخلاقي الإسـلامي بلغة معاصرة، لا بهدف تقريب سـبل السـعادة المعنوية إلى الشـباب وحسـب، بل باعتبار أنّ النظام الأخلاقي هو حجر الأساس للمجتمع الإسلامي المهدوي.

إنّ إعـادة المباحـث الأخلاقية إلى حـاضرة البحث والتـداول في الفضاء العام الإسـلامي يكتسـب أهمية أخرى مضاعفة من حيث إنّ قوى الإنحراف وعناصر الشرّ والفسـاد قد إزدادت في هذا العـصر، أكثر من جميع العصور السّـالفة؛ فـإذا كان التّحـرك في الماضي في خطّ الإنحراف يكلّف الإنسـان مبلغاً من المال، أو شـيئاً من الجهد، ففي هذا الزّمان أصبحت أدوات الفساد في متناول الجميع.

كذلـك، فبينما كانت المقاييس والموازين الأخلاقية محدودةً في الماضي، إلّا أنّ التوسـع الهائل في العلوم الإنسـانية أنتج مجموعة من الشـبهات التي نالت من الثوابت الفطرية والإنسانية؛ لذلك، نحاول في (مركز براثا للدراسات والبحوث) الإجابة على النقوض الفلسـفية حول أسـس الأخلاق والشبهات المثارة. مسـتهدفين من خلال (سلسلة الدراسات الأخلاقية) تعميق الأخلاق في قلـوب الناس، و تفعيل عناصر الخير في وجدانهـم، والإنتباه إلى الخطر المحيـط بالأخـلاق؛ بحيث إنّ البعـض أنكر فائدتها من الأسـاس، أو ذهب إلى أنّهـا غـير ضروريّـة، والبعـض الآخر تعامـل معها من موقـع المصلحة والبراجماتية، للوصول إلى مطامعه السّياسية.

ومـن لطف الله بنـا، أنّنا نمتلك مصدراً عظيماً للمعـارف الأخلاقيّة، و هو القـرآن الكريـم، الذي لا يُدانيـه أيّ مصدر ديني آخـر في العالم، والموروث الروائي عن أهل بيت النبوّة والذي يتّصف بالغزارة والعمق الفلسفي الأخلاقي.

● مقدمة:

يتّصف اللّه ,تعالى، بصفات الكمال والجمال والجلال، ومنها: الحكمة، أي أنّه, ,تعالى،, لا يفعل إلاّ لغاية وهدف، وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، لمعرفته ,تعالى، وعبادته، فيكون خليفة للّه ,تعالى، في الأرض، فيعمرها بالإيمان والعمل الصالح والتقوى، وبناء المجتمع الصالح والعفيف والطاهر.

وقد زوّد سبحانه وتعالى, الإنسان بالأجهزة والوسائل الخاصّة والأدوات التكوينيّة التي تمكّنه من بلوغ ذلك الهدف وتحقيق تلك الغاية السامية والأشواق العليا، وهي: العقل مركز التفكير والتأمل والتدبر و...، والقلب موضع العواطف والمشاعر، كالحبّ والشوق والخوف والرجاء و...، والفطرة السليمة أي الكيفيَّة الخاصّة التي خلق الله ,تعالى، الإنسان عليها التي تنطلق منها الميول والرغبات النفسيّة كالانجذاب إلى الله ,تعالى، وعشق الكمال والنفور من النقص، والجوارح والأعضاء البدنية, كالعين

,والأذن, واليدين, والقدمين و...

كما أرسل له الأنبياء والرسل وأتبعهم بالأئمة والأولياء، ليعرّفوهم طريق الحقّ والهداية ويأخذوا بيدهم إلى الهدف المطلوب.

فكان للّه ,تعالى، على الناس حجّتان: ظاهرة, وهي الأنبياء والأئمة، وحجة باطنة، وهي العقول والقلوب والفطرة السليمة، ولو أحسن الإنسان استثمار هذه الحجج بطاعة العقل والشريعة، فإنه يعيش حياة سعيدة وطيّبة، والتي كانت مطلب الأنبياء والأئمة ,صلوات اللّه عليهم أجمعين، كما في أدعية الإمام زين العابدين, عليه السلام، حيث ورد في الصحيفة السجاديّة في دعاء عرفة:

« فأحيني حياة طيّبة، تنتظم بما أريد، وتبلغ ما أحبُّ، من حيث لا آتي ما تكره، ولا أرتكب ما نُهيت عنه».

وفي دعاء سحر شهر رمضان المبارك: « ... وأتممت عليه نعمتك، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة، وأتمّ العيش».

وقد كشف القرآن الكريم أنّه من جملة القيم العليا في الرؤية الإسلاميّة التي إذا سادت بين الأفراد وفي المجتمع فإنّها تحقّق الحياة الطيّبة والسعيدة، هي: «العفَّة» و «التحصّن» و» التحفّظ»[1]، أي أن يكون الفرد عفيفًا، والمرأة عفيفةً، والمجتمع عفيفًا، أي أن يكون الأفراد والمجتمعات تعيش حالة ضبط الغريزة الجنسيّة في ضوء الأخلاق الإلهيَّة والضوابط

١ - انظر: سورة النور، الآية: ٦٠. سورة النور، الآية: ٣٣. سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

الشرعيّة، وأن تكون العلاقات بين الأفراد خصوصًا الذكور والإناث في المجتمع البشريّ منطلقة من صفات العفَّة والحياء والغَيْرة، هذه الصفات التي ترتبط فيما بينها بنحوٍ وثيقٍ وتساهم في بناء مجتمع عفيف وطيّب وطاهر وصالح، يساهم في صناعة مشروع الخلافة الإلهيَّة على الأرض والتمهيد لدولة صاحب العصر والزّمان عجل الله ,تعالى، فرجه الشريف.
فلا يكون همّ أفراد المجتمع فقط في إشباع شهواتهم وغرائزهم ولذائذهم الماديّة ومتعتهم الحسيّة الجسديّة، ولأنّ اللّه ,تعالى، غيور قد حرّم الفواحش، كالزّنا, واللواط ,والسِّحاق, والسفور,, والنّظر, واللّمس المحرّمَيْن والاختلاط غير المنضبط والتبرّج والتزيّن أمام الأجانب...
ولكن تحت شعارات الحرِّيَّة والتقدّم والانفتاح والعصرنة، تأثّر كثير من أبناء مجتمعاتنا بالأفكار التي تتجاوز العفَّة، فتهين المرأة وكرامتها التي منحها الله ,تعالى، إياها فأصبح السفور والتبرّج شائعًا، والملابس الضيّقة منتشرة، والاختلاط غير المنضبط أمرًا رائجًا، والمثْليَّة الجنسيّة حريّة شخصيّة، وقلّة غيرة الرجال على نسائهم انفتاحًا، وقلة الحياء عند النساء جرأة وشجاعة، والسَّترْ والحجاب تخلّفًا ورجعيّة، والالتزام بضوابط الشريعة في غضّ البصر وعدم اللمس والمصافحة للأجنبيّ عقدة نفسيّة...
في هذا الكتيّب، سلّطنا الضّوء على مفهوم العفَّة والعفاف، وبيّنا أهميّتهما في ضوء منطق القرآن ومدرسة أهل البيت وعلماء الأخلاق المسلمين، وعرّجنا على بيان دوافع الحرب الغربيّة وبعض الحكومات والأنظمة

والـشركات والمؤسسـات في عالمنـا الإسـلاميّ على الحجـاب والعفَّة والحيـاء، وذكرنـا بعض النماذج على ذلـك، وتوقّفنا عند كيفيَّـة تأثّر أبناء وبنـات مجتمعاتنـا بهذه الحـرب الثقافيّة والحضاريّـة، وعرضنا الأدوات والوسـائل التـي تُسـتخدَم في مناهضة العفَّـة والحرب عـلى الحجاب، وشرحنـا كيفيَّة مواجهة هذه الأدوات والوسـائل، والطرق التي تمكّننا من خـوض معركة نشر فضائل العفَّة والحيـاء والغَيْرة في مجتمعنا. نهدف من وراء ذلك إلى تثقيف جيل الشباب بضرورة العفَّة، وفضح مخطّطات العدو في محاربـة العفاف، وتنمية الوعي بأسـاليب المواجهة، ليسـاهم كلٌّ منّا في بنـاء المجتمع العفيف والطاهر والطيّب، لكسـب رضـا الله ,تعالى،، والفوز بسـعادة الدارين، والتمهيد لظهور صاحـب العصر والزمان عجل الله ,تعالى، فرجه الشريف.

الفصل الأوّل:

تأصيل مفهوم العفَّة في الرؤية الإسلاميّة

المبحث الأوّل:
بناء المجتمع العفيف في القرآن ومدرسة أهل البيت، عليهم السلام

تمهيد

لا شكّ في أنّ البحث عن مفهوم العفَّة في الرؤية الإسلاميّة يُشكِّل القاعدة التي ننطلق منها لنحقّق العفَّة الفرديّة والاجتماعيَّة، كما أنّه يجعلنا نملك المعيار الذي نقيس في ضوئه مدى وجود مؤشّرات العفَّة في هذا المجتمع أو ذاك؛ لذا يكون تحديد مفهوم العفَّة وتأصيله أمرًا مهمًّا في مقدّمة البحث، ليعطينا الصورة التي يريد الإسلام أن يكون عليها المجتمع العفيف والطاهر.

أوّلًا: ضرورة العفَّة في الكتاب والسنّة

ركّز القرآن الكريم كثيراً على صفة العفَّة، فقال ,تعالى،: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[سورة البقرة: ٢٧٢]، وقال ,تعالى،: ﴿**وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[سورة النساء: ٦]. كما قال ,تعالى،: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[سورة النور: ٣٣]، وقال عزّ وجلّ:﴿**وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[سورة النور: ٦٠]، ﴿**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً**﴾[سورة

النور: ٣٣]، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[سورة الأحزاب: ٣٥]... فهـذه الآيات القرآنيَّة الكريمة تؤكِّد أهمية العفَّة بشـكلٍ عام، أي بما يرتبط بالبعد المتعلّق بالحياة الجسديّة الظاهرة، والعلاقات الجنسيّة بين الأفراد، وغيرها من الأبعـاد كالعفَّة الماليَّة، وعفّة البطن و...، وإن كانت تتأكّد في العلاقة بين الجنسين على نحو أشدّ.

وقـد أكّدت عشرات الأحاديث والروايات الواردة عن رسـول الله وأهل بيتـه, صلوات الله عليهـم أجمعين, ضرورة العفَّة والعفـاف، فما عبد الله ,تعـالى، بشيء أحبّ إليه من العفَّة، وثمرة العفَّة في المجتمع هي الصيانة، وضعف الشهوة، وحسن الأوصاف، والنزاهة، وزكاة الأعمال[١]...

عـن رسـول الله, صلى اللـه عليه وآله وسـلم: «عليكـم بالعفاف وترك الفجور»[٢].

فالرؤية الإسـلاميّة تقوم على معادلة واضحة ومحـدّدة، يجب أن يكون الفرد عفيفًا، وأن يكون المجتمع عفيفًا[٣].

ثانيًا: الحث على بناء الأسرة العفيفة والمجتمع العفيف

وفي هذا السياق نفسه، نلاحظ أنّ الروايات وفي سبيل بناء الأسرة العفيفة

١ - انظر حول هذه الأحاديث الواردة: الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص.ص. ٢٠٠٥-٢٠١٠.
٢ - الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٣٣.
٣ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٣٩٤، ح٤٣٨٦.

والمجتمع العفيف، قد أكّدت على ضرورة أن يكون أحد معايير حسن اختيار الزوج وكذلك اختيار الزوجة هو الاتّصاف بالعفَّة.

فقد ورد عن الإمام الصادق,عليه السلام, أنّ الرجل الذي يُعتبر كفؤًا للمرأة المؤمنة في مقام الزواج يجب أن يكون عفيفًا.

وكذلك الحال في المرأة، يشترط أن تتّصف بالعفَّة، فقد ورد عن الصادق, عليه السلام, أنّه إذا أراد المؤمن أن يتزوج، عليه بالدعاء: « اللّهم إنيّ أريد التزويج، فقدِّر لي من النساء أعفهنّ فرجًا، وأحفظهن لي في نفسها...»[١]

بل نظرت بعض الروايات إلى ضرورة أن تنتسب المرأة التي يريد المؤمن الزواج منها إلى مجتمع عفيف وبيئة عفيفة.

عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال: «تزوجوا إلى آل فلان فإنّهم عفّوا، فعفَّت نساؤهم، ولا تزوجوا إلى آل فلان، فإنّهم بغَوا، فبغت نساؤهم»[٢].

وهكذا تؤكّد عشرات الروايات ضرورة أن يكون المجتمع الإيمانيّ مجتمعًا عفيفًا، يتمتّع بغضّ البصر، والكفّ عن نساء الناس، والزواج من العفيفين والعفيفات، والتربية على العفاف، وترك الفجور، وعدم تزيّن وتبرّج المرأة لغير زوجها، وضرورة السَّتْر والحجاب، وتهذيب المرأة لأسلوب كلامها مع الرجال الأجانب، وضبط طريقة مشيها، واجتناب

١ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٣٩٤، ح ٤٣٨٧.
٢ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٥٥٤، ح٤.

اللّمس والمصافحة بين الجنسين، والزنا، واللّواط، والسِّحاق وكلّ علاقة جنسيّة غير الزواج المشروع... إلخ من مظاهر العفَّة والعفاف عند الأفراد وفي المجتمعات.

ثالثًا: العفَّة والتحديات المعاصرة تحت شعار الحرِّيَّة والتقدّم

ولكن مع شديد الأسف، وتحت شعارات الحرِّيَّة والتقدّم والتطوّر الثقافيّ، سقط الغرب في مستنقع الحياة الشهوانيّة، فأخذ يمارس كلّ ما من شأنه أن يعارض العفَّة ويناقض الغَيْرة والحياء، بل أخذ - ومنذ احتلاله لأوطاننا العربيّة والإسلاميّة- يصدِّر إلى مجتمعاتنا هذه الممارسات كالسفور والتعريّ كما في تجربة الجزائر وتونس ومصر وتركيا وإيران وغيرها...، ويشجّع على الاختلاط المحرّم في الأسواق والجامعات والمدارس و...، ويحفّز الفنّون -كالرسم والنحت- التي تنافي العفَّة والحياء، ويحارب الحجاب والسَّتْر كما في التجربة الفرنسيّة وغيرها...، ووظّف كلّ طاقاته الإعلاميّة والدعائيّة لتشويه صورة الحجاب والتحفيز على التحرّر من ضوابط العفَّة والحياء والغَيْرة والتحصّن والتحفّظ.

كما اتّخذ من المرأة وسيلة لفن الإغراء، مستخدمًا جسدها في الدعاية التجارية والترويج لبضاعته، بالتلاعب على الغرائز والشهوات.

وتأثّر كثير من أبناء مجتمعاتنا بهذه الأفكار التي تنافي العفَّة، وتخدش

الحيـاء الاجتماعيّ، وتـدسّ الغَيْرة في الـتراب، وتهين المـرأة وكرامتها، فأصبح السـفور أمـرًا عاديًّا، والتـبرّج والتزيّن شـائعًا، والملابس الضيّقة أو ذات الألـوان الفاقعـة منتشرة، والاختلاط غـير المنضبط خصوصًا في المسـابح وعلى الشـواطئ أمرًا رائجًا، والمثْليَّة الجنسـيّة حريّة شخصيّة، وقلّة غيرة الرجال على نسـائهم انفتاحًا وعصرنة، وقلة الحياء عند النسـاء جرأة وشجاعة، والسَّـتْر والحجاب تخلّفًا ورجعيّة، لأنّ الجمال ينبغي ألَّا يُحجَب ويراه كلّ الناس، والالتزام بضوابط الشريعة في غضّ البصر وعدم اللمس والمصافحة للأجنبيّ عقدة نفسيّة...

وقد حذّر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلّم مـن هذا الانقلاب في المفاهيم والقيم، حيث قال: «كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبانكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهَوا عن المنكر؟!

فقيل له: ويكون ذلك، يا رسول الله؟

قـال: نعـم، وشرٌّ من ذلك!! كيف بكـم إذا أُمرتم بالمنكـر، ونُهيتم عن المعروف؟!

قيل: يا رسول الله، ويكون ذلك؟

قـال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكـم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟!»[1].

١ - المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٨١.

فبدل أن يتمسّــك أبناء مجتمعنا بتعاليم القرآن الكريم، تمسّك بعضهم؛ بل كثــير منهم, بالفجــور وترك العفاف، فكان عنصرًا مســاهمًا في فســاد المجتمــع وانحرافه عن الأهداف الإلهيَّة، وعامــلاً مانعًا من إقامة مشروع الخلافة الإلهيَّة على الأرض، والترويج للمنكر، بل رؤية المنكر معروفًا.

المبحث الثاني:
تحليل مفهوم العفَّة في ضوء علم الأخلاق الإسلاميّ

تمهيد:

إنَّ البحث عن العفَّة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفهم طبيعة تكوين النفس الإنسانيّة، حيث إنّ علماء الأخلاق المسلمين اعتمدوا على الفهم الفلسفيّ للطبيعة البشريّة لتحديد موقفهم من العفَّة وتفسيرها، ولذا نتوقّف بدايةً مع بيان طبيعة قوى النفس في ضوء فلسفة الأخلاق الإسلاميّة، ثم ننتقل منها إلى تحديد مفهوم العفَّة أخلاقيًّا.

يقول الإمام الخميني: «قسّم الحكماء أجناس الفضائل إلى أربع فضائل هي: الحكمة, والشجاعة والعفَّة, والعدالة، إذ إنّ للنّفس قوّتين هما: قوّة الإدراك وقوّة التّحريك، ولكلّ منهما شعبتان، فقوّة الإدراك تنقسم إلى العقل النظريّ والعقل العمليّ، وقوّة التّحريك تنقسم إلى قوّة الدّفع (لغير الملائم) وهي قوّة الغضب، وإلى قوّة الجلب (للملائم) وهي قوّة الشهوة. والاعتدال في كل واحدة من هذه القوى الأربع وإخراجها من حدّي الإفراط والتّفريط فضيلة. فالحكمة عبارة عن تعديل القوّة النّظرية وتهذيبها، والعدالة تعديل القوّة العمليّة وتهذيبها، والشّجاعة تعديل القوّة الغضبيّة وتهذيبها، والعفَّة تعديل القوّة الشهويّة وتهذيبها»[1].وهذا النصّ يحتاج إلى بعض التوضيح والشرح.

---

١ - الخميني، جنود العقل والجهل، ص١٤٧.

أوّلًا: التركيب النفسيّ للإنسان عند علماء الأخلاق

خلق اللّه ,تعالى، الإنسان مزيجًا من نشأتين وعالمين، نشأة المادة والطّين ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[سورة ص: ٧١]، ونشأة الروح والنفخة الإلهيَّة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[سورة ص: ٧٢].

النشأة الأولى يمُثّلها هذا البدن المحسوس الذي نمارس به أنشطتنا الطبيعيّة في الحياة اليوميّة، والنشأة الثانيّة تمثّلها الروح المجرّدة عن المادة والزمان والمكان، والمُتعلِّقة بالبدن والمادة في مقام العمل والنشاط، فروح الإنسان -مثلاً- تفكِّر بوساطة الدماغ، وتعشق وتخاف وتحزن وتفرح بوساطة القلب، وترى بوساطة العين، وهكذا...

ويعتقد فلاسفة وعلماء الأخلاق المسلمون أنّ النفس البشريّة أو الروح المجرّدة هي التي تشكِّل جوهر الإنسان وحقيقته، أمّا البعد الماديّ من الوجود الإنسانيّ فليس إلاّ وسيلة لتحقيق النفس البشريّة لأغراضها في الحياة وتحصيل ما ينبغي لها من كمالات. وتتكوّن النفس البشريّة من قوى متعدّدة، حصروها في قوّتين أساسيّتين يتفرّع عنهما أربع قوى:

● الأولى: قوّة الإدراك والتعقّل والتفكير:

وتشمل:

● **القوّة العاقلة:** ووظيفتها أن تُدرك الحقائق، كقضايا الفلسفة والإلهيّات، وما يتعلّق بالمعادلات الرياضيّة، والاكتشافات العلميّة في الطبيعة كالفيزياء

والكيميـاء وعلم الأحيـاء... وكذلك تُدرك هذه القوة مـا يتعلّق بالأخلاق الفرديّة والسياسـة المدنيّة والتربيّة الاجتماعيَّـة...، أي القضايا التي تحدّد للإنسـان أو المجتمـع ما ينبغـي أن يفعل أو لا يفعل، وتميّز بين الحسـن والقبيح من الأفعال الاختياريّة للإنسان.

● **والقـوّة الوهميّـة:** وهـي قوّة يسـتعين بها العقل عـلى إدراك المعاني الجزئيّة.

٢. والقوّة الثانيّة: قوّة البعث والتحريك:

أي القوّة التي تحرّك البدن وتعطيه الأوامر ليفعل أو يترك. وتشمل قوّتين:

● **القوّة الغضبيّة:** ووظيفتها بعث الإنسان إلى دفع الضرر عن نفسه وطرد الألم، على وجـه الغلبة، كالدفاع عن النفس والانتقـام والأخذ بالثأر ضد المعتدين.

● **والقوّة الشـهويّة:** وظيفتها بعث الإنسان نحو جذب اللّذة وما يلائمه، كالطعام والشراب والنكاح.

● ثانيًا: تَصارُع قوى النفس وتصالُحها

جميـع هذه القوى المتقدِّمة تعيش بين أمرين: إمّا أن تتصالح فيما بينها، وإمّا أن تتصارع وتتنازع وتتدافع.

وكي يعيش الإنسان حالة السلام الداخليّ والطمأنينة والسكون النفسيّ،

عليه بالتحكّم والسيطرة على قواه بما يخدم أهدافه الحقيقيّة والإلهيَّة، بأن تكون هذه القوى تحت قيادة القوّة العاقلة، لأنّها هي القوّة القادرة على المصالحة بين جميع قوى النفس.

عن أمير المؤمنين عليّ, عليه السّلام: « إنّ اللّه عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركَّب في البهائم شهوةً بلا عقل. وركَّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقلُه شهوتَه، فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلبَتْ شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائم»[1].

فإذا قامت القوّة الشهوية -فيما تريد أن تجذبه من اللّذة كالأطعمة أو الأشربة المُحرّمة كشرب الخمر، أو الزِّنا أو اللواط والسِّحاق (أو ما يسمّى المثْليَّة الجنسيّة) أو التزيّن والتبرّج والسفور والتعرّي... - بالتمرّد على العقل، والتحرّر من سلطة الأخلاق والشريعة الإلهيَّة، حينها يخرج الإنسان من حدود الحياة الإنسانيّة إلى حدود الحياة الشهوانيّة والحيوانيّة، لأنّ العقل يصير مغلوبًا لا قائدًا، فتهلك النفس البشريّة، قال ,تعالى،: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[سورة الشمس، الآية: ١٠].

وهكذا هي الحال في القوى الأخرى، فإذا سيطرت القوّة الوهميّة على العقل صار الإنسان شيطانًا، وإذا تغلّبت القوة الغضبيّة على العقل، أصبح الإنسان سبُعًا ضاريًا، كما في بعض رجال السياسة الذين يتعدّون على

١ - الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٤-٥.

حقوق النـاس -مثلاً-، بخلاف الحاكم المؤمن المتّقي الذي يعمل بوصية أمـير المؤمنين, عليه السّـلام, لمالك الأشـتر, رضوان اللّـه ,تعالى، عليه: «وأشـعر قلبك الرحمة للرعيّـة، والمحبة لهم، واللّطـف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا، تغتنم أكلهم»[١].

أمّا إذا انقادت القوى الوهميّة والشهويّة والغضبيّة للعاقلة ضمن التعاليم الإلهيَّـة والشريعة، تصبح جميع القوى ككيانٍ واحدٍ، إذ إنّ القائد والمدبّر قوّة واحدة، فتُستثمَر كلّ قوّة في موضعها المناسب، فيصدر عن تلك القوّة الأخلاق الحسـنة والفضائل، قال تعـالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾[سـورة الشمس، الآية: ٩].

فالصورة الباطنيّة للإنسـان تتناسـب مع القوّة التي تغلـب عليه، فإمّا أن يكـون على صورة الملائكة أو الشـياطين أو البهائـم... كما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعـرف بـاب الهدى فيتّبعـه، ولا بـاب العمى فيصدّ عنـه، وذلك ميت الأحياء»[٢]. ويحشر الإنسـان على تلك الصورة يـوم القيامة، فقد ورد في أحاديـث عدّة أنّ الناس يُحشرون على نيّاتهـم يوم القيامة[٣]، ولذا نفهم ما

١ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣ .
٢ - الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، الخطبة ٨٧. وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٣٧٢.
٣ - البرقي، المحاسن، ج١، ص٤٠٩، ح٩٢٩.

ورد في الروايات من أنّ بعض الناس يحشرون على صورة تحسن عندها القردة والخنازير[١].

ثالثًا: العفَّة من أمّات الفضائل الأخلاقيَّة

بعد هذه المقدّمات نصل إلى النقطة التي نريد معالجتها وتسليط الضوء عليها، وهي: «العفَّة»، وتحليل طبيعة العفَّة في ضوء ما تقدّم.

إنّ تهذيب القوى النفسيّة وإخضاعها للعقل السليم يحصل منه غنى النفس بالفضائل والملكات الحسنة والكمالات المطلوبة. فالفضيلة هي: ملكة إراديّة راسخة في النفس، تجعل الإنسان قادرًا على التوسط بين حدَّيْ الإفراط والتفريط، اللذين تنبعث عنهما رذائل متقابلة.

وقد أجمع علماء الأخلاق المسلمون على أنّ أمّات الفضائل أربع[٢]، وهي:

- الحكمة.
- الشجاعة.
- العفَّة.
- العدالة.

---

١ - الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، علم اليقين، تصحيح محسن بيدارفر، انتشارات بيدار، قم، ط١، ١٤١٢هـ، ج٢، ص١٠٩٩.

٢ - انظر: الإمام الخميني، جنود العقل والجهل، ص٢٧٣-٢٧٥.

أ. ما الحكمة؟

أمّا الحكمة، فهي فضيلة تحصل بتهذيب القوّة العاقلة، وفائدتها: معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه وتمييز الحسن من القبيح.

والقـوّة الوهميّة إذا تحرّرت من سـلطة العقل تصبح وظيفتها اسـتنباط وجـوه المكر والحيلة من أجل التوصل إلى الأغراض والأهداف بالتلبيس والخداع.

أمّا إذا كانت القـوّة الوهميّة تحت قيادة العقل، ففائدتها: إدراك المعاني الجزئيّـة، واسـتنباط الحيـل والدقائـق التـي يُتوصَّـل بهـا إلى المقاصد الصحيحة.

ب. ما الشجاعة؟

وأمّا الشـجاعة، فهي فضيلة تحصل بتهذيب القـوّة الغضبيّة تحت قيادة العقـل والشريعة، وهي إطاعـة القوة الغضبيّة للعاقلـة في الإقدام على ما ينبغـي بنظر العقـل والشرع. ومـن آثارها: «الغَـيْرة». فإذا انقـادت القوّة الغضبيّـة إلى العقل والـشرع، كانت وظيفتها تحفيز الإنسـان على الدّفاع عن الدِّين والجهاد في سـبيل اللّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... أمّـا إذا تحرّرت مـن العقل والشرع، تحرّك الإنسـان نحو طلب المناصب الدنيويّة، وإيذاء الناس، والشتم، والتعدّي...

ت. ما العفَّة؟

وأمّا العفَّة، فهي فضيلة تحصل بتهذيب القوّة الشـهويّة التي هي انقياد القوّة الشـهويّة للعاقلة فيما تأمرها به وتنهاها عنه حتى تكتسب الحرِّيَّة. وإذا انقادت إلى العقل والشرع فكانت هي القوّة التي تحفّز الإنسـان على الزواج والتناسل مثلاً.

يقـول المحقـق النراقـيّ: «أمّا فضيلـة العفَّة، عبـارة عن ملكة انقيـاد القوّة الشـهويّة للعقل، حتى يكون تصرفها مقصورًا على أمـره ونهيه، فيقدم على ما فيـه المصلحة وينزجر عما يتضمن المفسـدة بإجازتـه، ولا يخالفه في أوامره ونواهيه»[١].

وهذا التعريف الأخلاقيّ يتناسـب مع المعنى اللغـويّ للعفّة، لأنّ العفَّة في اللّغة هي الكفّ عمّا لا يحلّ[٢]. والاسـتعفاف طلـب العفاف وهو الكفّ عن الحـرام[٣]. فيظهر أنّ أصـل العفَّة في اللّغة العربيّة ليس هـو مطلق الكفّ، بل خصوص الكفّ عن القبيح.

أمّـا إذا خرجـت على قانـون العقل، فيكـون همّها في الشـهوات الحيوانيّة كالطعـام, والشراب, والزّنا وارتكاب الفواحش، والنزوات الجنسـيّة، والتبرّج، والتزيّن لغير الزّوج, والسفور والنّظر واللّمس المحرّمَيْن...

١ - النراقي، جامع السعادات، ج١، ص ٨٧.
٢ - الفراهيدي، كتاب العين، ج١، ص٩٢.
٣ - ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٩٠.

ث. ما هي العدالة؟

أمّا الفضيلـة الرابعة فهي العدالة، وهي عبارة عـن رفع التجاذب والتخالف بين القوى المتنوّعة بقيادة القوّة العاقلة، فتقوم كلّ قوة بما هو مناسـب لها في خدمة الأهداف الإلهيَّة[1].

فـإذا قصّرت القّوة عـمّا ينبغي لها فهـو التفريط، وإذا تجـاوزت القوّة الحدود المرسومة لها فهو الإفراط، ومن هنا يكون مقابل كلّ فضيلة -التي هي الحدّ الوسط وهـي واحد لا يقبل التعدّد- رذيلتان في طـرفيَ الإفراط والتفريط. فالحكمة واقعة بين البله والجربزة. والشجاعة بين الجبن والتهوّر. والعفَّة بين الخمود والشّره.

وهكذا يتضح مفهوم العفَّة على نحوٍ جليٍّ في ضوء علم الأخلاق الإسلاميّ.

● رابعًا: الضوابط والمحدّدات الشرعيّة للحرية التي تنافي العفَّة

إنّ المجتمعـات البشريّة التي تتصرّف على خـلاف أخلاق العفاف والحياء والغَيْرة، هي مجتمعات قد خرجت على الفطرة البشريّة السـليمة التي خمّرها اللّـه ,تعالى، في الإنسـان، كالمجتمعات الغربيّة التي تعيش السـفور والمثْليَّة الجنسـيّة والتعرّي والبغاء و... وكذلك من شـديد أسف كبعض المظاهر في مجتمعاتنا العربيّة والإسـلاميّة التـي تحرّرت من الضوابـط الأخلاقيَّة كالعفَّة والحياء والغَيْرة...

ولذلك نلاحظ أنّ الإسلام قد وضع محدّدات عديدة لحرية الغريزة الجنسيّة

---

١ - النراقي، جامع السعادات، ص٣٢-٥١-٦٩.

والقوة الشهويّة، منها:

أوّلاً: التحديد الذاتيّ النابع من أعماق النفس البشريّة، والذي هو العفَّة الأخلاقيَّة كفضيلة وملكة نفسانيّة، التي تنطلق من الفطرة السليمة والحياء، وتتولّد هذه الفضيلة في ظل التربيّة الإسلاميّة التي تزرع في روح الإنسان قوّة توجّه سلوكه الفرديّ والاجتماعيّ في الحياة على نحو يكون مهذّبًا، وصالحًا، وعفيفًا.

ثانيًا: التحديد القانونيّ، القائم على أساس المنع عن أيّ نشاط يتعارض مع العفَّة الفرديّة والاجتماعيَّة، كالسفور والتعريّ والزنا والمصافحة والنظر المحرّمين والتبرّج المحرّم... إلخ.

ثالثًا: القوانين الجزائية التي سنّتها الشريعة كعقاب على ممارسة ما يخلّ بالعفَّة من حدود وتعزيرات، كجلد الزاني، وتعزير السافرة...

رابعًا: الضرائب الماليّة المفروضة على ارتكاب ما يخالف العفَّة الجنسيّة، مثل الكفارات والديّات، ككفارة الإفطار العمدي في شهر رمضان على الجماع أو الاستمناء... وقد منحت الشريعةُ الإسلاميّةُ الدولةَ والجهازَ القضائيّ حقّ التدخّل لحماية المجتمع الإسلاميّ من أي لون من ألوان الفساد الذي ينافي العفَّة والحياء والغَيْرة.

خامسًا: حثّت الشريعة الإسلاميّة أفراد المجتمع الإيمانيّ على التكاتف والتعاون في سبيل مواجهة أي فساد أخلاقي يتنافى مع آداب العفَّة والحياء بوساطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحقِّ والموعظة الحسنة.

المبحث الثالث:
تشابك قيمة العفَّة مع الحياء والغَيْرة

● أوّلًا: تلازم الحياء والعفَّة

ورد في الدعاء عن الحجة عجل الله ,تعالى، فرجه الشريف: ﴿**وَتَفَضَّلْ... عَلَى النِّسَاءِ بِالْحَيَاءِ وَالعفَّة**﴾. فمن الأمور الملازمة للعفّة، هما: الحياء، والغَيْرة، وقد ركّزت النصوص الإسلاميّة على هاتين الصفتين، وأظهرت تلازمهما مع العفَّة، نذكر منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الحياء يصدّ عن الفعل القبيح، وقد تقدّم أنّ العفَّة هي الامتناع عن القبيح، ممّا يعني أنّ سبب العفَّة هو الحياء، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «سبب العفَّة الحياء»[1]، وعنه عليه السلام: «على قدر الحياء تكون العفَّة»[2]. مع ضرورة الإشارة إلى أنّ الحياء لا يختصّ بالنساء، بل يشمل الرجال، نعم، قد تختلف الدرجة بين النساء والرجال، كما ورد في الروايات التي تتحدّث عن أنّ الحياء على عشرة أجزاء: تسعة في النساء، وواحدة في الرجال[3].

يقول الإمام الخميني: «العفَّة والحياء والخجل من فِطَر العائلة البشريّة

---

١ - المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٠٩.
٢ - الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٧١٨.
٣ - الصدوق، الخصال، ص٤٣٨.

كلها، كما أنّ التهتك والفحش وعدم الحياء على خلاف تلك الفطرة، لهذا فالعشـق للعفّة والحياء مخمّر في فطرة العائلـة البشريّة والتنفّر عن الهتك وعدم الحياء مخمّر فيها أيضًا»[1].

● ثانيًا: تلازم الغَيْرة والعفَّة

تُعَدُّ الغَيْرة من الفضائل الأخلاقيَّة المهمّة في الإسلام، حيث إنّها الباعث الأوّل والأسـاس لدفـاع المرء عـن عرضه، وشرفـه، ودينه، وأرضـه. أمّا مظاهرهـا فكثيرة، كأ لاَّ يغفل المؤمنون عن زوجاتهـم، وأن لا يهملوا كلّ ما يؤدّي إلى الفسـاد، بالإضافة إلى تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أكمل وجه، والجهاد في سبيل اللّه بغية الدفاع عن الأرض والعرض وبذل النفس قربانًا في حضرة الأهداف الإلهيَّة الساميّة.

وقد ركّزت الأخلاق الإسـلاميّة على صفة الغَيْرة وربطتها بالعفَّة برباط وثيق كـما ورد في الروايات، فعن أمير المؤمنين (عليه السـلام): «قدر الرجل على قدر همّته... وشـجاعته عـلى قدر أنفته، وعفّته على قـدر غيرته»[2]. ولذلك نلاحـظ أيضًا الربط في الروايات بين تحلّي الإنسـان بصفة الغَيْرة وعدم إتيان الفواحش، خصوصًا الفواحش الجنسـيّة؛ كالزنا, والخيانـة الزوجيّة وغيرها،

١ - الخميني، جنود العقل والجهل، ص١٩٩.
٢ - نهج البلاغة، الحكمة٤٧.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما زنى غيور قطّ»[1]. بل الغيور من الصفات أو الأسماء الإلهيَّة، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ اللّه ,تبارك وتعالى، غيور، يُحبُّ كلَّ غيور، ولغيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها»[2].

إنّ للغيرة ثمارًا وآثارًا متعدّدة، من أبرزها وأجلاها فضيلة العفَّة، كما تقدّم في الرواية: «وعفّته على قدر غيرته»، فإنّ الغَيْرة من الصفات التي تنشّط حضور العفاف في المجتمع، وغياب الغَيْرة يؤدي إلى إضعاف العفاف في المجتمع. كما أنّ هاتين الفضيلتين «الحياء والغَيْرة» لا بدّ لهما من الانتشار على مستوى المجتمع قاطبةً من أجل تحقيق بيئة تكاد تكون خالية من الفساد والرذائل.

● **ثالثًا: الرجل الذي لا يغار على عرضه ويرضى بالسفور هو: ديُّوث**

وجعلت الروايات مقابل الغَيْرة صفة الدِّياثة، والديُّوث هو الإنسان الذي لا يغار على أهله أو بعض مناكحه وينزع اللّه ,تعالى، منه روح الإيمان وتسمّيه الملائكة: الديُّوث، وقد يصل الديوث نتيجة التعوّد على ملكة الدِّياثة مقابل الغَيْرة إلى مرحلة يغض النظر عن خيانة زوجته، فقد سئل صلّى الله عليه وآله: وما الديُّوث؟ فقال : «الذي تزني امرأته وهو يعلم بها»[3].

---

١ - نهج البلاغة، الحكمة٤٧.
٢ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٥٣٥، ح١.
٣ - الحر العاملي، وسائل الشيعة ، ج٢٠، ص٣٢٧، ح ٢٥٧٤٠.

هـذا من باب ذكر أبـرز مصاديق الدِّياثة، وإلاّ فإنّ مفهوم الدِّياثة واسـع يشـمل مطلق عدم الغَيْرة على العرض والزوجـة والبنات، فمن يرض بأن تخرج زوجته أو ابنته سافرة متبرّجة مثلاً دون أن يشعر بالغَيْرة والحميّة فهو ديُّوث، ومن يرض أن ينظر الآخرون والشـباب إلى سـفور بناته وتبرّجهنّ أو يسـمحْ لهنّ بالاختلاط غير المنضبط بالرجال مع المفاكهة والممازحة والمصافحة ... إلخ، يصدق عليه تسمية: «ديُّوث».

● رابعًا: نقض الرؤية الغربيّة لغيرة الرجل

وبهذا يتبيّن فسـاد ما ينظّـر له بعض العلماء الغربيّين مـن أنّ الغَيْرة هي الناحيـة الأنانيّة من العلاقـة الغراميّة التي تهـدف إلى الامتلاك الحصريّ للكائن المحبوب سواء أكان امرأة أم شخصًا آخر.

وكذلك فسـاد نظريّة علم الأخلاق الماركسيّ الذي يقرأ الغَيْرة على أنّها صفة ذات طبيعة غريزيّة بحتـة تتميّز بها المجتمعات البدائيّة عندما يكون الإنسـان قريبًا من الحالة الحيوانيّة، أمّا مع التطور العقلي والثقافيّ للناس فقد سـاعد ذلك على القضـاء على تلك الغَيْرة، وأنّ هـذا النوع من الغَيْرة يترافق في الزواج مع أنانيّة الزوج تحت شعار: «زوجتي محصّنة كملكيتي تمامًـا»، أي أنّ الغَيْرة تنطلق من الأنانيّـة وحب التملّك، وهي تطاول على الحرِّيَّة الشخصيّة للزوجة.

وهكـذا يحـوّل هؤلاء الغَـيْرة من قيمة فطريّة وإنسـانيّة -كـما تقدّم عن

الإمـام الخمينـيّ- لحفظ العفَّـة في المجتمع إلى قيمة سـلبيّة بدائيّة تقوم على أسـاس الأنانيّة والتملّك وتتنافى مع التطور الثقافيّ، وتُعَدُّ تعديًا على الحرِّيَّة الشخصيّة للزوجة أو البنات أو النساء عامّة في المجتمع.

هـؤلاء يريدون قلب هـرم القيم، وتحويـل القيمة الإنسـانيّة إلى غريزة حيوانيّـة ليمارسـوا الفجور والفسـاد في المجتمـع تحت شـعار الحرِّيَّة والتطوّر والتقدّم.

وفي ظلّ التحديات المفروضة على مجتمعاتنا الإسلاميّة بهدف تجريدها من العفَّة والعفاف، فمن المهمّ أن نبرز ونفنّد مظاهر ذلك الهجوم الثقافيّ والحضاريّ على نسـائنا ورجالنا مـن قبل أعداء اللّه والأمّـة، الذي يرمي إلى محو هويتنا الإسـلاميّة واستبدالها عبر وسائل متعدّدة ومتكثّرة. ونحن من باب الحرص على أبناء وبنات أمّتنا سـنحاول مناقشـة هذه التحديات العصريّة وسـبل مواجهتها بهدف وقاية مجتمعاتنا من الفسـاد والانحدار الأخلاقيّ الذي يبعدنا عن شريعتنا وقيمنا خصوصًا العفَّة والحياء والغَيْرة.

الفصل الثاني:

الحرب الثقافيّة على الحجاب

المبحث الأوّل:
في مفهوم الحجاب

كلمة الحجاب تعني السَّتْر، كما أنّها تعني البُرُدة والحاجب. لكنّ استعمالها في الأعمّ جاء بمعنى البُرُدة. وتدلّ هذه الكلمة على مفهوم السَّتْر هنا باعتبار أنّ البُرُدة وسيلة للسَّتر[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ استخدام مصطلح «الحجاب»، يعدّ من المصطلحات الحديثة نسبيًّا لأنّ فقهاء الإسلام القدماء كانوا يستخدمون مصطلح «السَّتْر» بدلاً من الحجاب، وحتى القرآن استخدم مصطلحات، مثل «الخُمُر»، و«الجِلباب» للتعبير عن السَّتْر.

وكان من الأفضل استمرار استخدام مصطلح «السَّتْر»؛ لأنّ هناك من لم يحسن فهم مصطلح «الحجاب» -على أحسن ظنّ- أو من استغلّه لتشويه هذه الفلسفة الإلهيَّة، فادّعى أنّ الحجاب يعني حجب المرأة عن الحياة، وحبسها في منزلها، إلاّ أنّه من الواضح أنّ الإسلام لم يأتِ بمثل هذه الأحكام، بل منح المرأة كامل حريّتها، ولكن ضمن الحدود الشرعيّة التي تضبط تصرفاتها وسلوكاتها وتحصّنها.

فالحجاب في الإسلام يعني تستّر المرأة أمام الأجانب وعدم ظهورها

---

١ - مرتضى مطهري، مسألة الحجاب، ص٢٨.

بمظهر مثير، لـذا جاءت التشريعات الإلهيَّة بحـدود تضبط مظهر المرأة، حيـث أمرتها بعدم إظهار زينتها أمـام الأجانب. ويمكن من خلال الآيات القرآنيَّـة والأحاديث الواردة عن النبيّ (ص) وأهل بيته (ع)، تقسـيم الزينة إلى قسمين:

- زينة ذاتيّة تشمل جسدها ومفاتنها.
- وزينة خارجيّة تشمل الأمور الخارجيّة المضافة إلى جسد المرأة بهدف تزيينه وتجميله، مثل الذهب ومستحضرات التجميل وغيرها.

جـاءت هذه التشريعات الإسـلاميّة لتحفظ للمرأة مكانتهـا التي منحها إياهـا اللّـه ,تعالى،، كما وتحفظ حقوقها كإنسـان في المقـام الأوّل، لأنّ تبرّجها وتزيّنها أمام الأجانب يخلع عنها لباس الإنسانيّة، ويُحوِّلها إلى أداة لاستمتاع الرجال، حتى ولو اقتصر هذا الاستمتاع على الاستمتاع البصريّ.

لكنّ هـذه التشريعات لا تقتصر عـلى حماية المرأة، بل تتّسـع لتحمي الرجال والنساء معًا ، فستر النساء يحمي الرجال من الفتنة وإثارة الشهوات والغرائز وبالتالي الوقوع في المحرّمات، وحتى لو اقتصرت هذه المحرّمات على النظر المحرّم.

لـذا، يمكننا القـول: إنّ التشريعات الإسـلاميّة فيما يخصّ سـتر المرأة تحمي المجتمع بجميع أفراده، وتحصّنه من الفساد والرذائل.

المبحث الثاني:
الحرب الغربيّة على الحجاب

● أولاً: الاستعمار والحرب على الحجاب

غزا الاستعمار الغربيّ بلادنا الإسلاميّة في أواسط القرن التاسع عشر، ومن هنا بدأ احتكاك الغربيين بالنساء المسلمات، حيث كانت السلطات الغربيّة تنظر إليْهنّ بنظرة فوقيّة باعتبارهنّ النساء المضطهدات والخاضعات للسلطة الذكوريّة التي تحرمهنّ من ممارسة حقوقهنّ، هذه النظرة كانت نقطة البداية لتوغّل اليد الغربيّة في عقول نساء المسلمين، حيث بدأت الحملات -عبر رجال السلطات الغربيّة وزوجاتهم والعاملات معهم- التي تشجّع النساء على خلع حجابهنّ وإبراز مفاتنهنّ تحت شعارات الحرِّيَّة والتمكين والتقدّم وغيرها.

نعم، يمكن أن يكون الحجاب لدى بعض النساء عادة أكثر منه عبادة، لهذا استجابت تلك النساء للدعوات الغربيّة وبدأن بخلع حجابهنّ، أمّا المرأة المؤمنة التي تدرك أنّ الحجاب أمرٌ إلهيّ لا بدّ لها من الامتثال له، فلم تخضع لتلك الحملات الشَّعْواء, ولم تنجرّ مع تلك الموجات الاستعماريّة.

وفي هذا السياق، تذكر الكاتبة الكنديّة «كاثرين بولوك» في كتابها «نظرة الغرب إلى الحجاب»، قصّة محامٍ أوروبيّ أقام بالجزائر، وسمحت له طبيعة عمله برؤية النساء من دون نقاب، فقال مُتحدِّثا إلى أحد زملائه:

«يقع على الرجال الجزائريين ذنبُ إخفاء هذه النماذج الجميلة من الحُسن الغريب، إنّ شعبًا لديه هذا الكنز من الدرر ونماذج الكمال الطبيعيّ، ينبغي ألّا يحتفظ بها لنفسه، وأن يكشفها ويعرضها، وإن لم يكن من سبيل لذلك إلّا إرغامهم عليه». ورغم أنّ الأمر لم يكن سوى أمنية من مُحامٍ أراد عرض جمال الشرق على العالم من دون حجاب، فإنّ السلطات الفرنسيّة في الجزائر شجَّعت بالفعل النساء على نزع حجابهن، حين أقدم عدد من القادة العسكريّين الفرنسيّين بتنسيق مع زوجاتهم على تنظيم «مهرجان لخلع الحجاب» في ١٧ مايو/أيار ١٩٥٨، إذ نزعت بعض الجزائريَّات حجابهن وحرْقنه بحمايةٍ من رجال الشرطة الفرنسيّين.

● **ثانيًا: الحرب على الحجاب في الدول الغربيّة- التجربة الفرنسيّة**

أمّا بعد أن أنهت تلك الدول أعمالها الاستعماريّة في بلادنا، حيث تركتها مدمّرة، منهوبة ولا تصلح للعيش الكريم، بدأت حملات اللّجوء من العالم الإسلاميّ إلى العالم الغربيّ، فانتقل الصراع مع الحجاب إلى عُقر دار الغرب. فبدأت الحملات التي تدعو إلى منع الحجاب تحت ذريعة أنّه لا يمثّل الهُويَّة الغربيّة من جهة، أو أنّه يعبرّ عن الهُويَّة الدينيّة للمرأة ما قد يتسبب بالمشكلات والكراهيَّة بينها وبين المواطنين الّذين ينتمون إلى ديانات أخرى غير الإسلام وغيرها من الذرائع التي لا نهاية لها.

وعندما نتحدّث عن الحجاب ومواجهته في الغرب، تأتي فرنسا على

رأس لائحة العداء مع الحجاب، فقد وصل انحياز فرنسا ضدّ الحجاب إلى أن بدأت بتقييد المرأة المحجَّبة من خلال سنّ بعض القوانين التي تهدف إلى التضييق على المحجَّبة مثل:

- منع ارتداء الحجاب أو أي رمز دينيّ من قبل الأشخاص المرافقين للتلاميذ في الرحلات المدرسيّة.
- السماح للمسابح العامة بمنع ارتداء البوركيني (وهو لباس ترتديه المحجّبات في أماكن السباحة مثل المسابح والشواطئ).
- منع ارتداء أي رمز دينيّ من قبل القاصرين في الأماكن العامة، ومنع القاصرين من ارتداء أي لباس يعني دونية المرأة تجاه الرجل[١].

لم تكتفِ هذه الدولة العلمانيّة بذلك، حتى وصل بها الأمر إلى محاولة منع المرأة المحجَّبة من الحصول على الجنسيّة الفرنسيّة، ففي عام ١٩٩٣، كشفت المفتشيّة العامّة الفرنسيّة للشؤون الاجتماعيَّة عن تقرير ينتقد بعض ممارسات إدارة التجنيس، على اعتبار عدم احترام هذه الأخيرة لمبدأ تكافؤ الفرص في منح الجنسيّة الفرنسيّة، إذ تعتمد في ذلك على معايير غاية في الضبابيّة مثل نسبة اندماج صاحب الطلب مع قِيَم الجنسيّة الفرنسيّة، وهو شيء لا يمكن قياسه بوضوح،على نقيض المعايير الأخرى؛ مثل: فحص القدرات المالية للمترشِّح، ومدى قانونية إقامته بالبلاد، ومدى التزامه بالقانون المحليّ. تستفيد إدارة التجنيس في فرنسا

١ - الحجاب: نقاش لا ينتهي في فرنسا - BBC News عربي

مــن وجود بعض الثغــرات في قانون التجنيس، الــذي لا يتطرَّق بوضوح لجميع عناصر الرفض أو القبول، وهو ما يمنح كل ولاية الحق في تحديد المُواطِــن الصالح انطلاقا من مجموعة نقاط تُحدِّدها بنفســها دون ســند قانونيّ صريح[١].

كما أنّ الانحطاط والتنميط المقيت قد وصل بالغرب في مسألة الحجاب إلى حدّ التفاهة حيث طلب «جون بيير شوفانشون»، وزير الداخليّة الفرنسيّ الســابق، من موظفي إدارات التجنيس الإشارة في تقاريرهم إلى الحجاب مع حثّهم على التمييز بين الحجاب السيء والحجاب المقبول، والحجاب السيء ببســاطة هو الحجاب الإســلاميّ الذي تحــرص فيه المحجَّبة على تغطية جســدها كاملاً بما في ذلك منطقة العنق والأذنين والشعر كله، فيما الحجاب المقبول هو الحجاب التقليديّ الذي ترتديه النســاء في عدد من الدول الإســلاميّة ويُعَدُّ مظهرًا ثقافيًا أكثر ولا يغطي جســد المرأة بالدرجة نفســها. وقد قالت إحدى المشــاركات في هذه الدراســة: إنهــا تُفرِّق بين الحجاب الشــعبي والحجاب الإســلاميّ بالألوان والزركشات، إذ تُعَدُّ أن الحجاب الإســلاميّ دائمًا ما يكون أسود في حين يكون الحجاب الشعبي متألِّقــا بالألوان، وهــو ما يعكس نوعًا من الســطحيّة والتنميط لدى بعض موظفي إدارة التجنيس[٢].

1 - https://www.cairn.info/revue-sociologie-20104--page-439.htm

2 - https://www.cairn.info/revue-sociologie-20104--page-439.htm

● **ثالثًـا: الحـرب على الحجاب في المسلسـلات التلفازيَّة- التجربة البريطانيّة**

لم يكتـفِ الغرب بحربه عـلى الحجاب على المسـتوى القانونيّ والمـدنيّ، بـل تخطاه ليشـمل جميـع الميادين وأبرزهـا الميدان الإعلاميّ والسـينمائيّ، الذي يحاول تشويه صورة المحجَّبة وإبرازها على أنّها متخلفة ورجعيّة أو مجرمة و»إرهابيّة» كما جاء في المسلسل البريطانيّ Bodyguard، إذ انطلق المسلسـل بمشـهد لسـيدة تضع الحجاب وحولها حزام ناسـف، خائفة، ومختبئة في حمام قطار، أو في أحسن الأحوال أمّ أو أخت أو زوجة أحد المخرّبين أو الإرهابيين -حسب وصفهم- الّذين يتعدّون على المواطنين ويمسّون أمن البلاد، أو أنّها ترتدي الحجاب كرهًا بفعل ضغط السـلطة الذكوريّة الأسْريّة عليها كما بيّن المسلسـل الشـهير Mr.robot حيث لعبت «سـونيتا ماني» دور «شـامة بيسـواس» الفتاة التي تعيش مـع عائلتها الإيرانيّة المهاجـرة في بروكلين، وبعد أن تهرب شـامة من منزل والدها تخلع الحجاب.

والأمثلـة على ذلك كثـيرة جدًّا، ولكن نكتفي بهـذه الصورة المختصرة، وفيها كفاية لرسـم الصورة بشـكلها الأوسـع، وأمام هذا المشهد لم تتوانَ النسـاء المسـلمات عـن الدفـاع عـن حقوقهـنّ في الغرب حيـث أقمن التظاهرات المندّدة بمنعهنّ من حقوقهنّ على أسس عنصريّة متّكئين بذلك

على الدساتير والقوانين الغربيّة التي تدّعي الديمقراطيّة وحريّة الفرد. حتى أصبح الحجاب رمزًا للثورة على الطغيان الغربيّ، وجاء بمفعولٍ عكسيّ حيث بدأت النساء المسلمات اللّاتي لم يكنّ يرتدين الحجاب، بارتدائه طوعًا، معبّرين بذلك عن تضامنهنّ مع أخواتهنّ المحجبّات، ومبدين اعتراضًا على الأنظمة الغربيّة.

المبحث الثالث:
الحرب على الحجاب في العالمَيْن العربيّ والإسلاميّ

تمهيد:

لم يتخـلَ الغرب عن احتـلال بلادنا إلّا وقد حرص عـلى تأمين أدوات وأذرع له سلّمهم زمام الحكم والسلطة ليكملوا مشروعه الشيطانيّ، برؤساء وملوك ينتمون في الظاهر إلى البلد وأبنائه.

فعلى سـبيل المثـال، ترك لنـا في مصر الحكـم الملـكيّ المتعاون مع بريطانيا، وفي إيران الحكم البهلويّ الذي كان يشكلّ الموروث البريطانيّ المثاليّ، وغيرها من البلاد ك(تونـس) و(الجزائر) بعد الاحتلال الفرنسيّ. أمّا في تركيا فجاء الحلفاء (فرنسـا وبريطانيا) بـ«أتاتورك» بعد القضاء على السلطنة العثمانيّة.

كلّ تلك السـلطات والحكومات التي أخذت على عاتقها إكمال مسيرة المحتلّين، بذلت جهودًا جمّة في مواجهة الإسـلام والمسلمين، ومن أبرز المظاهر الإسلاميّة التي قامت بمواجهتها «الحجاب».

● أوّلًا: تجربة أتاتورك في تركيا وتبعاتها السلبيّة

في تركيا، بدأت الحملة العلمانيّة بقيادة كمال أتاتورك بمواجهة الحجاب والمحجّبات من خلال سـنّ قوانين تمنع الحجاب تحت طائلة العقوبات

الشـديدة. ونظّمت المؤتمـرات والفعاليات التي تترأسـها زوجة أتاتورك «لطيفة هانم» وزوجات رجالات السلطة، وذلك بإيعاز من السلطة.

بدأت النسـاء بالمشـاركة في هذه التجمعات بهدف التقرّب من السلطة وإبـراز الولاء لها، وعلى مـرّ الأيام والأعوام بدأ موضـوع خلع الحجاب يأخـذ طابعًا وطنيًّا وقوميًّـا حيث أصبح يعبرّ عن الهويـة الوطنيّة والقوميّة التركيّة التي أسّسها أتاتورك.

لم يتخلّـص مسـلمو تركيا من هـذا العلمانيّ لأنّه حـرص على أن يترك خليفـةً له يكمل مسـيرته العلمانيّة وهو «عصمت اينينـو»، وقد نجح هذا الخليفـة في القضـاء على الحجاب في المدن التركيّة الكبرى كإسـطنبول وأنقرة، حيث انتشر السفور والتبرّج وأصبح أمرًا اعتياديًّا.

● ثانيًا: الحجاب وتجربة النظام البهلوي في إيران

لم يكن الحجاب في إيران مظهرًا من مظاهر الدّين الإسـلاميّ فحسب، بـل تخطّاه ليأخذ طابعًا سياسـيًّا، حيث كان من علامـات معارضة النظام البهلويّ ارتداء الحجاب.

تسلّم رضا بهلوي زمام الحكم في إيران -بعد رحيل البريطانيين عنها- عام ١٩٢٥، بـدأ البهلويّ الأوّل بتحفيز الفتيات الإيرانيات على خلع حجابهنّ متأسّـيًّا بنظيره التركيّ من خلال الفعاليات التي كانت تنظمّها زوجة الشاه برفقة العديد من زوجات رجال السـلطة في إيران، والتي تشجّع على خلع

الحجاب، إلاّ أنّ ذلك الأسلوب الناعم لم ينجح مع النساء المسلمات في إيران، فاضطرّ الشـاه الأوّل إلى حظر الحجاب من خلال سنّ قانون يمنع من ارتداء الحجاب، وذلك في كانون الثاني عام ١٩٣٦.

وبفعل تمسّـك جماعة كبيرة من الشـعب الإيرانيّ بالإسلام، لم تتوقف الاحتجاجات المناهضة لذلك القانون، فضلاً عن النظام بجلّه.

بعد تنحية البهلويّ الأوّل عن الحكم وتسلّم ابنه محمد رضا بهلوي، لم يسـتطيع الابن الصمود أمام الشـعب الغاضب فألغى قانون منع الحجاب عام ١٩٤٤، لكنّه استمرّ بتحفيز الفتيات على خلعه، إلى أن أضاءت شعلة الثورة الإسـلاميّة بقيادة الإمـام الخميني (ره)، فعـاد الحجاب إلى واجهة العمـل السـياسيّ في إيران فأصبـح الحجاب مظهرًا مـن مظاهر مناهضة النظام.

● ثالثًا: الحجاب وتجربة بورقيبة في تونس

يعدّ الحبيب بورقيبة أوّل رئيس جمهورية لتونس بعد الاحتلال الفرنسيّ، كان بورقيبـة من أشـدّ المعادين للإسـلام، طبعًا وكما جـرت العادة تحت شعارات الحرِّيَّة والديمقراطيّة ومحاربة الرجعيّة.

لم يقتـصر دور بورقيبة على محاربة الحجاب، إنّما تخطّاها وتعدّى على جلّ التشريعات الإسلاميّة. بعد ثلاثة أشهر فقط من استلامه الحكومة، أصدر عن طريق البرلمان التونسيّ مجلّة الأحوال الشخصيّة عام ١٩٥٦. أصدرت

تلـك المجلّة العديد من التشريعات، مثل قانون منع تعدُّد الزوجات، ورفع سـن زواج الذكور إلى عشرين سـنة، والإناث إلى ١٧ سنة، وقانون يسمح للمواطن بالتبني، وأقر بورقيبة قانوناً يسمح للمرأة بالإجهاض، وكذلك إقرار المسـاواة الكاملة بين الزّوجين في كل ما يتعلق بأسباب الطلاق وإجراءاته وآثـاره. وفي عـام ١٩٨١ أصـدر قانونًا يمنع النسـاء من ارتـداء الحجاب باعتبـاره «مظهرًا من مظاهر التمييـز والطائفيّة، وينافي روح العصر»، وظهر بورقيبة على شاشـة التليفزيون في احتفال شـعبيّ وهـو ينزع أغطية الرأس عن بعض النساء قائلاً «انظري إلى الدنيا من غير حجاب»[1]. لم تنتهِ معركة الحجاب في تونس مع عهد بورقيبة، ففي عام ١٩٨٧ قام زين العابدين بن علي بانقلابٍ على حكم بورقيبة وتسلّم هو زمام السلطة.

رغم ضراوة معركة بورقيبة مع الإسـلام والحجـاب، إلّا أنّه لم يصل إلى مرحلـة العـداء التي وصـل إليها خليفته الـذي لم يكتـفِ بالحفاظ على القانون الذي تمّ سـنّه من قبلُ، بل بدأ باسـتخدام أدواته الأمنيّة والبوليسيّة لحظر الحجاب في الشـوارع والأماكن العامّة، فقد أقدمت قوّات الشرطة على ملاحقة المحجّبات والتعدّي عليهنّ، بل ونزع حجابهنّ قهرًا.

● رابعًا: بعض المثقّفين المصريّين وتجربة الحجاب:

كان المشهد في مصر مختلفًا نوعًا ما، حيث أخذت معركة الحجاب طابعًا

١ - الحبيب بورقيبة «محرر المرأة»: انظري إلى الدنيا بغير حجاب | زحمة (cairolive.com)

ثقافيًّا إلى حدٍّ كبير، فقد كان التيّار التغريبيّ الذي يدعو إلى «تحرّر المرأة» عبر نزع حجابها، يضمّ العديد من الكتّاب والشعراء ومثقفي المجتمع.

بدأت شعلة المعركة ضدّ الحجاب في مصر من خلال كتاب «تحرير المرأة» للكاتب قاسم أمين، إذْ لقي الكتاب انتشارًا واسعًا وردود أفعال متباينة.

لقد اعتبر الكاتب أنّ التخلّي عن الحجاب أحد مفاتيح حلّ أزمة المرأة والمشاكل الاجتماعيَّة التي تواجهها.

وبدأت كذلك الحملات النسويّة بقيادة هدى الشعراوي بالمسّ بالتشريعات الإلهيَّة، وقامت هذه الحملات بمجابهة أسس إسلاميّة كثيرة وطالبت بالمساواة بين الرجل والمرأة ومنع تعدّد الزوجات أو الحدّ منه وصولاً إلى مسألة الحجاب حيث اعتبره بعض الكتّاب التغريبيِّين مظهرًا من مظاهر التخلّف الثقافيّ الذي يعيد المجتمع إلى العصور القديمة.

وفي السياق نفسه، تمّ استخدام صناعة الأفلام التي انتشرت واشتهرت في مصر لنسف قيمة العفاف، حيث بثّت السينما المصريّة جميع أنواع السفور والتبرّج، والمشاهد الخلاعية، التي تدعو بطريقة مبطنّة إلى ممارسة الفساد والرذيلة ونشر العلاقات المحرّمة بين الرجال والنساء.

وبعد أن سيطر الحكم العلمانيّ القوميّ على مصر، شُرّعت أبواب السفور والتبرّج على مصراعيها، خصوصًا بعد التضييق على الحركات الإسلاميّة التي كانت تواجه وتجابه الموجة العلمانيّة الغربيّة، حيث منعها

النظام الناصريّ من ممارسة نشاطها الدعويّ الذي كان يهدف إلى تحفيز المسلمين على التمسك بدينهم وعدم الانجرار إلى الحملات الغربيّة.

● **خامسًا: استمرار آثار الحرب على الحجاب حتى يومنا الحاضر**

إنّ تلك المواجهات والمعارك التاريخيّة لا تزال آثارها ومفاعيلها سارية حتى يومنا الحاليّ، ففي تركيا ما زالت المحجّبات يتعرضنّ للهجوم من قبل الأشخاص المعادين للحجاب والإسلام المتأثّرين بالتاريخ العنصريّ تجاه المحجّبات. ففي حادثة مروّعة، هاجمت امرأة تركيّة في حيّ إسنيورت بإسطنبول نساء محجّبات، محاولةً نزع حجابهنّ.

وقد أثار هذا الحادث الصادم ردود فعل غاضبة من قبل الناشطين والجمهور الّذين أعربوا عن استيائهم وغضبهم إزاء هذا العمل العدائيّ الذي يستهدف الرموز الإسلاميّة[١].

فما زالت تداعيات التجربة العلمانيّة الأتاتوركيّة مستمرة حتى اليوم في تركيا، حيث تدفع المحجّبات التركيّات ثمنًا لهذا الإرث الثقافي الذي حمله المجتمع التركيّ حول النظرة إلى الحجاب، خصوصًا في مجال ارتداء الحجاب في المؤسسات العامة، أو ارتدائه في الجامعات التركيّة، أو مؤسسات الشرطة والجيش والقضاء...[٢].

---

١ - اعتداء على نساء محجبات في إسطنبول - تركيا الآن (turkeyalaan.net)

2 - https://www.aljazeera.net/news/202222/10/

وفي إيران عادت مسألة الحجاب لتأخذ طابعًا سياسيًّا، فبعد وفاة الفتاة «مهسا أميني»،ادّعى تغريبيو إيران المناهضون للحكم الإسلاميّ أنّ مهسا قتلت في مقرّ الشرطة لأنّها لم تكن تلتزم بالحجاب الشرعيّ المفروض على النساء في إيران. ثمّ بدأت الحملة الشعواء على الحجاب ورجال الدّين الّذين تمّ استهدافهم والتعرّض لهم في الشوارع. تلك الحملة تدعو إلى خلع الحجاب ونشر السفور في المجتمع الإيرانيّ الذي يتسمّ بالالتزام بالشريعة الإسلاميّة[١].

فبفعل تأثّر بعض الجماعات الإيرانيّة بالأفكار الغربيّة من جهة، واستغلال أمريكا وبعض الحكومات الغربيّة هذه الأصوات في الداخل الإيراني لخدمة الأجندة السياسيّة لها، طُرحت مسألة الحجاب بقوة في الفترة الأخيرة في إيران، حيث شهدت بعض المناطق الإيرانية حالة إحجام عدد متزايد من النساء عن ارتداء الحجاب وتغطية شعورهن في الأماكن العامة، بل والسخرية من الحجاب، والترويج إلى السفور والتعرّي، خصوصًا على شبكات التواصل الاجتماعيّ، وهو ما ينتهك قواعد اللباس وفق قانون الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

وما زالت آثار علمنة المجتمع التونسيّ تنعكس حتى اليوم على طبيعة النظرة إلى الحجاب، بل على طبيعة تفكير المرأة التونسية عامَّة تجاه

١ - جدل في مصر بشأن دخول المحجبات للمنشآت السياحية | سكاي نيوز عربية (skynewsarabia.com)

القضايا التي تخصّ المرأة.

وإذا نظرنا إلى مصر اليوم، نرى أنّ المحجّبات مازلن يعانين من التمييز والعنصريّة، ففي العام السابق تفجرت حالة من الجدل في مصر، حول ما أثير عن منع إحدى المنشآت السياحيَّة دخول المحجّبات إليها. وبدأت القصّة بمقطع فيديو نشرته إحدى الفتيات على مواقع التواصل الاجتماعيّ قالت فيه: إنَّها قامت بإجراء حجز للاحتفال بعيد ميلادها في أحد المطاعم الشهيرة بالقاهرة، ولكن حينما حضرت هي وصديقاتها فوجئت بإدارة المطعم تطلب من إحدى صديقاتها المغادرة لأن المكان لا يسمح بدخول المحجّبات. وأوضحت الفتاة أن كل سبل التفاهم مع إدارة المطعم باءت بالفشل، واضطرّت للمغادرة هي وصديقاتها، بعدما عبرّت عن غضبها واستيائها الشديد من «هذا التمييز».

● سادسًا: هل المجتمعات البدائيّة أكثر تطوّرًا وازدهارًا من المجتمع الإسلاميّ؟!! هل انتشار التعرّي والسفور يساهم في ابتكار تقنيات علميّة تمكنّه من التقدّم؟!!

بعد أن رأينا أنّ كلّ حربٍ شنّت على الإسلام والحجاب كانت من رواسب وتأثيرات الغرب، لكنّ الأدوات الحاكمة كانت أكثر تشدّدًا وصرامة في معركتها -أو كما يقال كان ملكًا أكثر من الملك- وذلك لحرصها على إبراز الولاء للغرب، أو الظهور بصورة الرجل الذي يريد بناء المجتمع المتحضّر

والمتقـدّم والمنفتح والعـصريّ... كما يظهر ذلك مـن تصريحاتهم، كما في تصريح الحكومة الإيرانيّة بعد إصدار الشـاه مرسـوم حظر الحجاب، حيث جاء فيه: «الغربيون الآن لن يضحكوا علينا» على أساس أنّ الحجاب هو مثار للسـخرية والضحك من قبل المجتمع الغـربي لكونه من مظاهر التخلّـف والرجعيّة والتقاليد البالية، بالإضافـة إلى الحقد الذي تكنّه تلك الشخصيّات العلمانيّة تجاه مجتمعاتها المسلمة. تمّ استخدام مصطلحات مثـل «التحرّر» و«التقـدّم» و«الحرِّيَّـة» و«الازدهار الثقـافيّ» في مواجهة الحجاب.

لكنّ السـؤال الذي يطرح نفسـه: ما العلاقة الرابطة بـين التقدّم الثقافيّ والسـفور والتعرّي؟!! فهل المجتمعات البدائيّة التي لم تكن فكرة السَّـتْر عندهـا ناضجة بمـا يكفـي، كانت أكـثر تطـوّرًا وازدهارًا مـن المجتمع الإسـلاميّ بقيادة محمد بن عبد اللّه (ص)؟!! أمّ أنّ انتشـار الفسـاد والزنا والفواحش في المجتمع يساعده في ابتكار أساليب وتقنيات علميّة تمكنّه من التقدّم؟!!

طبعًـا، كلّ تلك الادّعاءات لا ريب في بطلانها وفسـادها، فأجلى وأوضح نموذج على الدولـة والمجتمع المتحضّر الذي يسـوده العدل هو المجتمع والدولة المحمديّة، حيث حكم النبيّ (ص) بما أنزل اللّه، وهل لأي سلطات وقوانين وضعيّـة أنّ تنظّم المجتمع وتحفظه كما تفعل التشريعات الإلهيَّة؟! ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[سورة الملك، الآية: ١٤].

المبحث الرابع:
محاولة التشكيك بفريضة الحجاب وإنكار وجوبه

تمهيد:

حاول المستغربون ومدّعو الحداثة والتنوير التشكيك في فريضة الحجاب، بل أنكروا وجوبه وفرضه، حيث ادّعوا أنّه عادة عربيّة قديمة، أو أنّ المسلمين قد اكتسبوا هذه العادة من باقي الشعوب كالفرس على سبيل المثال. إلاّ أنّهم لم يفقهوا أنّ السَّتْر يعدّ من التشريعات المشتركة بين جميع الأديان السماويّة، فمن الطبيعيّ أن يكون منتشرًا قبل وجود الإسلام. ونأخذ بعض النماذج المشكّكة في فريضة الحجاب أو المنكرة لوجوبه:

● أوّلًا: أستاذ الفقه المقارن في مصر سعد الدّين الهلالي:

وهو أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر في مصر، أتت تصريحات سعد الدّين الهلالي خلال لقاء في برنامج «الحكاية» من تقديم الإعلامي المصري عمرو أديب. فقد أدلى الهلالي بتصريحات مثيرة للجدل بشأن فريضة حجاب المرأة في الإسلام، إذ قال: «إنه لا يوجد نص يؤكّد فريضة الحجاب». كما شكّك في صحّة حديث الحجاب الذي يقول إنه «إذا بلغت المرأة المحيض لا يظهر منها غير وجهها وكفيها». وقال الهلالي «إنّ هذا الحديث لم يظهر إلا

بعد وفاة الرسول بنحو ٢٤٠ عامًا، وهو حديث ضعيف»[١].

ومن الواضح بطلان هذا الادّعاء، لأنّ هذا المدّعي لم يلتفت إلى مصادر التشريع الإسلاميّ والتي تشمل الكتاب والسنّة والإجماع. فعندما يكون التشريع واضحًا في القرآن الكريم، لا داعي للبحث عن أحاديث النبيّ (ص).

ومن أبرز وأجلى الآيات التي تحكم بوجوب الحجاب على المرأة المسلمة هي قوله ,تعالى،: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾[سورة النور، الآية: ٣١].

فالخُمُر بضمّتين جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وينسدل على صدرها، والجيوب جمع جيب بالفتح فالسكون وهو معروف والمراد بالجيوب الصدور، والمعنى: وليلقين بأطراف مقانعهنّ على صدورهنّ ليسترنها بها[٢].

وكذلك قوله ,تعالى،: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٥٩]. والجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب تشتمل به المرأة، فيغطي جميع بدنها، أو الخمار الذي تغطي به رأسها ووجهها.

وقوله: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾ أي يتسترّن بها، فلا تظهر

---

١ - الحجاب: سعد الدين الهلالي ينفي فرضيته والأزهر يرد وتجدد الجدل حول حدود «تجديد التراث الإسلامي» - BBC News عربي.

٢ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص١١٢.

جيوبهن وصدورهن للناظرين. وقوله: ﴿**ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين**﴾؛ أي ستر جميع البدن أقرب إلى أن يعرفن أنّهن أهل السَّتْر والصلاح فلا يؤذين أي لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن[1].

● **ثانيًا: المهندس السوريّ محمد شحرور**

وهو مهندس وباحث ومفكّر سوريّ، وأحد أساتذة الهندسة المدنيّة في جامعة دمشق ومؤلّف ومنظّر لما أُطلِق عليه «القراءة المعاصرة للقرآن».

تناول محمد شحرور آيتي الحجاب وأخذ بتفسيرهما على نحوٍ خاص يسمّيه المستغربون «قراءة معاصرة ومتجدّدة للقرآن»، وكأنّ القرآن متغيّر بحسب الزمان والمكان والظروف.

الآية الأولى التي شرع بتفسيرها هي ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٥٩]، فقال: إنّ الآية المذكورة تخاطب النبيّ وليس الرسول، والنبيّ هو الذي يتلقّى أنباء الغيب وليس مكلّفًا ببيانها ونشرها، أمّا الرسول فهو الذي يتلقّى أنباء الغيب مع التكليف بإبلاغها للمجتمع البشريّ، ولذا فإنّ الطلب المذكور في الآية وهو إدناء الجلابيب، يعدّ طلبًا تعليميًّا لا تشريعيًّا، ويحاكي هدفًا يتماشى مع عصر النزول وهو تمييز المرأة الحرّة عن الأمة.

---

١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص٣٣٩-٣٤٠ .

أوّلًا- لا بدّ لنا أن نناقش الضوابط التي يعتمدها «التجديديُّون» و«المعاصرون» في تأويل وتفسير الآيات، إذ إنّهم يتجاوزون الضوابط العلميّة التي قرّرها المتخصّصون أي العلماء المسلمون في حقل تفسير القرآن، التي منها الأحاديث والسنّة النبويّة، حيث قال اللّه ,تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[سورة الجمعة، الآية: ٢]

فمن الجلي أنّ اللّه عزّ وجلّ أوكل تعليم وتفسير القرآن إلى النبيّ الأكرم (ص)، فلا بدّ لمن ينصّب نفسه مفسّرًا ومؤوّلاً للقرآن، أن يرجع إلى أحاديث النبيّ (ص) وأهل بيته عليهم السلام بحكم حديث الثقلين.

فهل هؤلاء المفسّرون الجدد يرجعون فعلاً إلى السنّة النبويّة؟! ليس من الواضح ذلك، إذ إنّهم لو رجعوا إليها لوجدوها ملأى بالأحاديث المفسّرة للآيات المتشابهات، رغم أنّ آية الحجاب المذكورة أعلاه تعدّ من الآيات المحكمات التي لا تحتاج إلى الكثير من التأويل والتفصيل، ويكفي فيها الفهم العربيّ العرفيّ الذي يسمّى بلغة أصول الفقه الظهور القرآنيّ وهو حجّة في مقام الاستدلال على الأحكام الشرعيّة، وليست الاستحسانات والأمزجة الشخصيّة التي لا تستند إلى دليل من قرآن أو سنة أو لغة...

وفي هذا السياق ورد عن الإمام الباقر (ع): «من أفتى الناس برأيه فقد دان

اللّه بما لا يعلم، ومن دان اللّه بما لا يعلم فقد ضاد اللّه حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم.»[١]

وعن الإمام الصادق (ع): «من نصّب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان اللّه بالرأي لم يزل دهره في ارتماس»[٢].

نقض ومناقشة تفسير محمد شحرور للآية القرآنيَّة الكريمة:

وبالعودة إلى تفسير محمد شحرور للآية، نقول:

● **أوّلًا:** إنّ اختتام الآية بـ«كان اللّه غفورًا رحيمًا»، لهو خير دليل على أنّ ترك هذا الأمر يعدّ ذنبًا، فلو كان الطلب تعليميًّا كما ادّعى شحرور، لم تُختتم هذه الآية بذكر رحمة ومغفرة اللّه ,تعالى، لأنّ غير الذنب ليس موردًا للتعقيب باسم من أسماء اللّه ,تعالى، التي تدلّ على المغفرة والرحمة.

● **ثانيًا:** نعم، يوجد فرق بين النبيّ والرسول، لكن شحرور لم يصب الفرق الحقيقيّ، فإنّ النبيّ ليست مهمّته تلقي أنباء الغيب فقط، فتاريخ الأنبياء يشهد بأنّ الأنبياء غير أولي العزم كانوا تابعين شريعة الرسل، لكنّهم لم يتوانوا عن تنظيم المجتمع وحكمه، فكانت مهمّتهم عمليّة حيث حكموا بما أنزل اللّه. قال ,تعالى،: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**﴾[سورة الأنفال، الآية: ٦٥]، فكيف للنبيّ أن يكتفي بتلقّي أنباء الغير وهو مأمورٌ بتحريض المؤمنين على القتال؟

---

١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص٣٣٩-٣٤٠ .
٢ - الكليني، الكافي، ج ١، ص٥٨.

بالإضافة إلى قوله ,تعالى,: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[سورة الطلاق:١]، فهل أحكام الطلاق أمورٌ تعليميّة أم تشريعيّة؟! وإذا عدَّها المفسرون الجدد تعليميّة، فما معنى قوله عزّ وجلّ «تلك حدود اللّه»؟! وما هو ظلم النفس الذي يُرتكب بالتعدّي على حدود اللّه؟!

وأمّا الآية القرآنيَّة التي تدحض جليًّا هذا الادّعاء الباطل، فهي قوله ,تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[سورة البقرة: ٢١٣]، فلو كان استخدام النبيّ في القرآن يعني ذلك الذي يتلقّى الغيب ويمكث في جبّته ولا يبلّغ المجتمع، فكيف نفسّر وصف اللّه ,تعالى، للنبيّين بالمبشّرين والمنذرين، بل كيف أوكل لهم مهمّة الحكم بين الناس؟!

● **ثالثًا:** إنّ إرجاع الأوامر والنواهي الإلهيَّة إلى الأزمنة والأمكنة المحدّدة والظروف التاريخيّة، لهو وجهٌ من وجوه الجهل والفساد، فعن أبي عبد اللّه الصادق، عليه السّلام, أنّه قال: «حلال محمد حلال أبدًا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجئ غيره»[1]

١ - الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٨.

محمد شحرور وآية سورة النور عن الحجاب

عندما يأتي شـحرور إلى آية الحجاب الثانية ويحاول تفسيرها، فيتمادى في الفساد ويأتي بتأويلات ما أنزل اللّه بها من سلطان.

والآيـة الثانية هي قوله ,تعالى,: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْـنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾[سورة النور، الآية: ٣١].

يميّز شحرور بين الزينة الظاهرة والزينة الخفيّة، فيقول إنّ الزينة الظاهرة هي مـا أظهره اللّه، فخلق اللّـه ظاهر، والزينة الخفيّة هي مـا أخفاه اللّه في خلقه. فالزينة الظاهرة بحسـب شحرور تشـمل الشـعر، والوجه، والصدر، والبطن، والظهر، والسـاق، وهذه زينة ظاهرة لا يجب سـترها. وأمّـا الزينة الخفيّة هي الجيـوب، والجيوب جمع جيب، والجيب فتحة لها طبقتان، وهي تشـمل ما بـين الإليتين، وما تحت الإبـط، وما تحت النهدين، وما بـين النهدين، وهذه الزينة هي ما يجب سترها.

● **أوّلًا وقبل أي مناقشـة:** فلنتخيل شـكل المرأة المسلمة وهي كاشفة كامل جسـدها، ما عدا بين الإليتين والإبطين، وما بين وتحت النهدين! حتى الذوق العام لا يقبل بمثل هذا المشهد، بل وحتى أكثر بلاد الغرب ابتعادًا عن الدّين لا تظهر فيها المرأة بهذا الشكل، فما بالك بالتشريعات الإلهيَّة الحكيمة!

● **ثانيًا:** المشـكلة الأسـاس التي يقع فيها شـحرور ومن يحذو حذوه، هو غياب ضوابط تفسـير القرآن، حتى الضوابط اللّغويّة منها، فمن أين لشـحرور

تفسـير الزينة الخفيّة بالجيوب، بل ومن أين له تفسير مصطلح الجيوب الذي أشار إليه واعتمده، مع أنّه غير موجود في لغة العرب وقواميسهم لا حقيقةً ولا مجازًا؟!

أسـئلة كثـيرة وكثيرة تُطرح عـلى المفسّرين بالـرأي والّذيـن يعتمدون على مزاجهم وأهوائهم الشـخصيّة في تفسير كتاب اللّه المنزل، وكما هي العادة لا جواب يشفي الصدور.

الفصل الثالث:

مظاهر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ

المبحث الأوّل:

الضوابط الشرعيّة للحجاب في الإسلام

تمهيد:

أجمع فقهاء الإسلام كافّةً على أصل وجوب فريضة الحجاب، وأجمعوا على وجوب ستر المرأة جسدها في الجملة أمام الأجانب، والمقصود بالأجانب هم غير المحارم من الرّجال، بالإضافة إلى اتّفاقهم على المستثنيين من وجوب ستر المرأة أمامهم الوارد ذكرهم في الآية ٣١ من سورة النور. لكن اختلفوا في بعض التفاصيل، فيما يلي نعرض نماذجَ من الآراء المتنوّعة للفقهاء حول مسألة الحجاب:

● أوّلًا: فقهاء الشيعة الاثني عشريّة

● ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب ستر كامل جسد المرأة من دون أيّ استثناء أي بما يشمل الوجه والكفيّن وأسفل الذقن، ومنهم السيّد الخوئيّ (ره)، حيث قال: « يجب على المرأة ستر الوجه والكفّين عن غير الزوج حتى المحارم مع التلذّذ، بل عن غير المحارم مطلقًا»[1]، والمقصود بـ»مطلقًا»، أي سواء مع التلذّذ والريبة والفتنة أم من دونها.

● وقال فقهاء آخرون بوجوب ستر بدن المرأة باستثناء الوجه والكفّين، ومنهم

---

١ - الخوئي، منهاج الصالحين، ج٢، ص٢٦٠

السـيّد اليزدي (ره) والسـيد الخميني (قده). لكنّ هذا الاستثناء مقيّد بشروط، منها عـدم وجود ناظر بتلـذّذ وريبة، والأمن من الوقوع في الحـرام، بمعنى أنّه حتى لو كان الأصل هو إباحة كشف المرأة وجهها وكفيّها أمام الأجانب، إلّا أنّها إذا علمت بنظرهم إليها بتلذّذ جنسيّ، فيجب عليها ستر وجهها وكفيّها أيضًا.

قال السيّد اليزدي : «يجب ستر المرأة تمام بدنها عمّن عدا الزوج والمحارم، إلّا الوجه والكفّين

مـع عدم التلذُّذ والريبة، وأمّا معهما فيجب السَّـتْر»[1]. كـما أنّه يوجد تباين في آراء الفقهاء فيما يخصّ الزينة الظاهرة المذكورة في آية الحجاب من سورة النور:

- فمنهـم من حرّم إظهار الزينة أمام الأجانب مطلقًا، أي لم يسـتثنِ منها شـيئًا، كالسيّد الخوئيّ (ره).

قال السيّد الخوئيّ: «لا بأس في زينة المرأة في نفسها، نعم لا يجوز لها أن تتزيّن وتبرز زينتها لغير المحارم من الرجال»[2].

- ومنهم من استثنى من الحرمة في مسألة الزينة الظاهرة بعض الأمور، كالكحل والخاتم على سـبيل المثال، ومنهم الشيخ جواد التبريزي (ره)، والسيّد السيستانيّ حفظه اللّه ,تعالى،.

قال الميرزا التبريزي: «لا يجب على المرأة سـتر الخاتم المتعارف عند النسـاء،

---

١ - اليزدي، العروة الوثقى، ج٢، ص٣١٧

٢ - الميرزا التبريزي والخوئي، صراط النجاة، ج١، ص٣٢٤

وكذا الكحل المتعارف عند العجائز وما يقرب منهنّ»[1].

● ثانيًا: فقهاء أهل السنّة

تنقسم الآراء الفقهيّة لدى أهل السنّة إلى أربعة مذاهب، وهي المذهب الحنفيّ، والمالكيّ، والشافعيّ، والحنبليّ.

وقد اتّفق الفقهاء السنّة على وجوب ستر زينة المرأة الظاهرة عن الأجانب، لكن اختلفوا في وجوب ستر الوجه والكفّين، فذهب الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعيّ إلى وجوب ستر كامل بدن المرأة بما يشمل الوجه والكفّين، أمّا أبو حنيفة ومالك فقد ذهبوا إلى عدم وجوب ستر الوجه والكفّين، بل استحباب سترهما. وكما هو الأمر لدى الفقهاء الشيعة، أجمع الفقهاء السنّة على وجوب ستر كامل البدن مع الوجه والكفّين عند وجود ناظر بتلذّذ وفتنة وخوف الوقوع في الحرام.

● ثالثًا: زكاة الجمال العفاف

وتجدر الإشارة إلى أنّ التشريع الإلهيّ الذي يحتّم على المرأة ستر جسدها أمام الأجانب، لا يعارض ولا ينازع الطبيعة الفطريّة للمرأة الميّالة نحو حبّ التجمّل والتزيّن، لأنّها كما ذكر السيّد الخوئيّ (ره) سابقًا «لا بأس في زينة المرأة في نفسها»، إلّا أنّه نظّم هذه الغريزة الفطريّة، على نحوٍ يحمي المرأة من أنظار وأيادي

١ - الميرزا التبريزي والسيد الخوئي، صراط النجاة، ج١، ص٣٢٤

الفاسـقين، ويحمي الرجال من الوقوع في الفتنة التي قـد تؤدّي إلى فعل الحرام، انطلاقًا من إرادة بناء مجتمع طاهر وعفيف.

عن أمير المؤمنين علي, عليه السلام: «زكاة الجمال العفاف»[١].

فالتشريع الإلهيّ ترك للمرأة حريّة التزيّن والتجمّل أمام النساء، أو نساء المؤمنين -حسـب بعض الآراء-، وحثّها على وجوب التزيّن والتجمّل لبعلها، بهدف جذب قلبه إليها واسـتحضار شـهوته نحوها ممّا يقوّي الرابطة العاطفيّـة بينهما، ويؤدّي بالتـالي إلى نجاح العلاقة الزوجيّة وحفظ قيمة العفاف، بحيث لا ينظر الرجل إلى الأجنبيّات لأنّ غريزته الجنسـيّة أشْـبعتْ في المكان الذي حلّله اللّه ,تعالى، وهو الـزواج، كما أنّ المرأة لا تحـاول إبراز جمالها وزينتها أمـام الأجانب، لأنّ غريزة حبّ إظهار الجمال قد أشْبعتْ في علاقتها مع بعلها. والأحاديث الواردة عن النبيّ (ص) وأهل بيته (ع) في هذا الخصوص واضحة وكثيرة، نذكر منها:

عـن رسـول اللّه صلى اللّه عليـه وآله قال: «إنّ خـير نسـائكم ... المُتبرِّجَة مع زوجها الحَصَان على غيره ...»[٢]. وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، وهنّ: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفًا عليها عند زلّةٍ تكون منها، وإظهار العشق له بالخِلابة [القول الطيّب]، والهيئة الحسنة لها في عينه»[٣].

---

١ - الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٠٠٦.
٢ - الكليني، الكافي، كتاب النكاح، باب خير النساء، ح٢
٣ - ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٢٣

المبحث الثاني:
السّفور المُقنَّع والحجاب المودرن

في المباحث المتقدّمة، قمنا بتسليط الضوء على محاربة الحجاب من خلال سنّ القوانين والعقوبات وغيرها من الأساليب التي تعدّ صارمة نوعًا ما، إلّا أنّ الحرب على الحجاب تتخذ أشكالاً وأساليبًا متعدّدة، نركّز في هذا المبحث على الحرب الناعمة التي أدّت إلى ظهور نوعٍ من الحجاب يستر شعر المرأة، إلّا أنّه يبرز مفاتنها على نحو أو آخر، وهذا ما يمكننا أن نطلق عليه «السفور المقنّع».

لقد سعى الغرب من خلال أدواته المتكثّرة إلى القضاء على فلسفة الحجاب الإسلاميّ، الذي يُعدُّ المظهر الأسمى من مظاهر قيمة العفَّة، وجَعْله لباسًا تقليديًّا ترتديه المرأة المسلمة.

من أبرز أدوات الغرب هو استحواذه على ما يسمّى «عالم الموضة»، حيث عمل من خلال العلامات التجاريّة العالميّة المختصّة بالألبسة أن يطلق مجموعات من الأزياء التي يمكن للمحجّبة ارتداؤها -حسب زعمه-، مبديًا تطلّعه لمجاراة المرأة المحجَّبة وجعلها تندمج مع الموضة وصيحاتها.

إنّ الأدوات الإعلانيّة التي اُسْتُخْدمت، تملك تأثيراً كبيراً على عقول النساء وقلوبهن، إذ استمالهنّ من خلال الاستعانة بعارضات أزياء يرتدين

قطعة من القماش على شعورهنّ. فبعد أن كانت البانويات والدعايات التي تستخدمها العلامات التجاريّة للألبسة مقتصرة على تلك الفتاة السافرة التي تعرض جسدها بشكلٍ علنيّ وفاضح، بدأت تلك الشركات تستخدم عارضات الأزياء اللّواتي تظهرهنّ بصورةٍ محتشمة نوعًا ما، بهدف استمالة المرأة المحجَّبة التي بدأت تشعر بأنّها المُستهلِك المُستهدَف من تلك الدعايات، وشرعت بالالتفات لها أوّلًا، ومن ثمّ التفاعل معها إيجابيًّا، وأخيرًا وجدت نفسها تمتلك رغبةً في الاندماج مع ذلك المجتمع الذي تحكمه معايير الموضة والأزياء.

وفي هذا السياق أجرت القناة الألمانيّة «DW» تحقيقًا، تحت عنوان «الحجاب المودرن يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الدينيّ»، جاء فيه: «لم يعد عالم الأناقة والموضة حكرًا على فئة معيّنة من النساء فقط، بل بات بإمكان المحجّبات أيضًا الدخول إلى «صندوق الفرجة» هذا، والتبضع بشتّى أشكاله وألوانه. وبعد أن كانت الموضة والحجاب تُعَدُّان خطّين متوازيين لا يلتقيان ويتنافر كلٌّ منهما من الآخر، أصبحت المحجّبات تجدن ضالتهنّ في عالم الأناقة والزينة»[1].

وتوسّعت القناة كذلك في تحقيقها حيث أخذت شهادة إحدى الفتيات اللّواتي يرتدين «الحجاب المودرن»، فجاء في التحقيق: «تبدو وفاء، الطالبة الجامعيّة المحجَّبة، مُخلِصة لآخر صيحات الموضة، ففي كلّ يوم

١ - «الحجاب المودرن» يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الديني - DW - ١٦/٩/٢٠١١

تذهــب فيه إلى الجامعة، تتبارى مع صديقاتها غير المحجّبات على ارتداء كلّ جديــد في عالم الموضة. وهنّ بدورهنّ ينبهرن من قدرتها على مجاراة اللّباس العصريّ من دون أن يُسبِّب الحجاب عائقًا لها. تصف وفاء نفسها بأنّهــا مــن جيلٍ جديدٍ منفتحٍ يريــد مجاراة بيئته الضيقــة، وفي الوقت ذاته الانسجام مع المجتمع الأكبر. وحجتها واضحة في هذا الإطار، فهي ترتاد إحــدى الجامعــات الأجنبيّة المرموقة في لبنان، وتقــول: «لا أريد أن أبدو كأنيّ آتية من الفضاء الخارجي»، خاصّة أنّ نسبة الطالبات المحجّبات في الجامعة تُعَــدُّ ضئيلة مقارنة مع غير المحجّبــات. والحلّ برأيها يكمن في مجاراتها للمشــهد العــام بلا أن يؤثّر ذلك على حشــمتها، «سروال جينز، وقميــص صيفــيّ بألوان فرحــة، لن يحدّ مــن قناعاتي أو التزامــي بارتداء الحجاب»[1].

أمّــا ظاهــرة المؤثّــرات «Influencers» المنتشرة على مواقــع التواصل الاجتماعــيّ، فكان لها حجم التأثير نفســه على الفتــاة المحجَّبة، إذْ ظهر في الآونــة الأخــيرة العديد مــن المؤثّرات اللّــواتي يرتدين هــذا النوع من الحجاب، وغالبًا ما يرتدين ما يســمّى بال»توربان»، وهو غطاء رأس يشبه العمامــة يَظهر منه جزءٌ من الشَّــعر، بالإضافــة إلى العنق والأذنين. تعرض تلك المؤثّرات أنواعًا وأشــكالاً عديدة من الألبسة التي تحمل اسم إحدى العلامــات التجاريّة العالميّة، مبرزةً مفاتنها وشــكل جســدها من دون أيّ

1 - «الحجاب المودرن» يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الديني – DW – ١٦/٩/٢٠١١

التفـات إلى أحـكام الحجاب وضوابطه الشرعيّة، فضلاً عن عرض شـتّى أنواع مسـتحضرات التجميل كأحمر الشفاه، والمسكارا وغيرها، بالإضافة إلى المجوهرات أو الإكسسوارات كالحليّ والقلائد و...إلخ.

هـذا المحتوى الذي يسـتهدف الفتيات المحجّبات، يريـد أن يجذبهنّ ويشعرهنّ برغبة محاكاة وتقليد هذه المؤثّرة أو تلك، فتبدأ الفتاة المحجَّبة بالسـعي وراء عجلة الموضة، بهدف الشعور بأنّها عصريّة وتحاكي أقرانها مـن الفتيـات العصريّات اللّواتي يظهـرن بمظهرٍ جذّابٍ يلفـت أنظار من حولهنّ.

هـذه العوامل وغيرها، أدّت إلى ظهـور هذا النوع من الحجاب الذي لا يحترم الضوابط الشرعيّة ويرقى إلى ما يسمّى بالسفور المقنّع، وبالتالي إلى تفريغ الحجاب من فلسـفته الإسـلاميّة التي شُرّعَ من أجلها، وهي إخفاء محاسـن ومفاتن المرأة المسـلمة، بغيـة حمايتها من النظـرات المحرّمة، وحماية المجتمع من الوقوع في المفاسد والرذائل. فأين العفَّة في أن تبرز المـرأة جميع مفاتنها، بل وتتزيّـن وتتبرّج، ولكن مع غطـاء رأسٍ غالبًا ما يكشف جزءًا من شعرها؟!

المبحث الثالث:
العفاف في أسلوب الحياة
(النظر، اللّمس، الحديث، المشي...)

تمهيد

تعدّ قيمة العفاف من القيم الأساسيّة في الإسلام، التي تسهم على نحوٍ كبيرٍ في بناء مجتمعٍ إسلاميٍّ عفيفٍ وطاهرٍ. لذا، ركّزت الشريعة الإسلاميّة على هذه القيمة على نحوٍ ملحوظ، كما سبق وبيّنا في المباحث والفصول السابقة. لكنّ الإسلام ومن أجل تهيئة بيئة اجتماعيَّة عفيفة لم يكتفِ بفرض الحجاب بمعنى السَّتْر البدنيّ، بل توسّع لينظّم شتّى أنحاء الحياة الاجتماعيَّة للفرد المسلم بما يضمن الحفاظ على تلك القيمة باتّخاذ مجموعة من التدابير الاحترازيّة والوقائيّة.

لا شكّ في أنّ الإنسان كائن اجتماعيّ بالفطرة أو بالاستخدام أي يحتاج إلى الآخرين لتأمين حاجاته ومتطلباته، فإنّ الناس لا بدّ لبعضهم من بعض على حدّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «إنّه لا بدَّ لكم من الناس، إنّ أحدًا لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض»[1]، وهذا يحتّم على الناس من ذكر أو أنثى التواصل مع بعضهم بعضًا، سواء

١ - الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٣٥.

أكان في الشوارع، أو الأسواق، أو المؤسسات التعليميّة والجامعات أو أماكن العمل، أو الدوائر الرسميّة والحكوميّة... إلخ، وإن كان الأصل الأخلاقيّ في الإسلام هو تجنّب اختلاط النساء بالرّجال إجمالاً، كما ورد عن سيدة نساء العالمين عليه السلام: «خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال»[1]، ويمكن أن نستشعر من القرآن الكريم أنّ الملاك لذلك هو الحفاظ على طهارة القلب، حيث قال ,تعالى،: (إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٥٣]، فهذه الآية وإن كانت خاصّة بنساء النبيّ (ص) إلّا أنّه قد يقال: إنّ خصوص المورد لا يقيِّد عموم الوارد، وإن تجاوزنا ذلك، ففي الحدّ الأدنى توضح الملاك والحكمة من الحكم والذي يشمل بطريق أولى باقي نساء المؤمنين.

● أوّلًا: ضوابط العفَّة في المجتمع الإيمانيِّ

ولذا، جعل الإسلام الاختلاط مقيّدًا ومنظّمًا بضوابط تحفظ قيمة العفَّة في المجتمع الإيمانيّ، ومن أبرز هذه الضوابط:

أ. غضّ البصر:

فقد أمر اللّه ,تعالى، المؤمنين والمؤمنات بغضّ أبصارهم، فقال: ﴿**قُل**

١ - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٦٧.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[سورة النور، الآية: ٣١]، وغضّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء، وقد أوضحت الآية القرآنيَّة الأولى الحكمة من ذلك حيث جاء: ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، فهذا التشريع يهدف إلى الحفاظ على زكاة النفس وطهارة القلب.

وقد ورد العديد من الأحاديث عن النبيّ (ص) وأهل بيته عليهم السلام التي ركّزت بشكلٍ واضحٍ على فضيلة غضّ البصر، فعن الرسول الأكرم (ص): «النَّظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من اللّه أعطاه اللّه إيماناً، يجد حلاوته في قلبه»[١].

وعن الإمام الصادق, عليه السلام: «ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغضِّ البصر، فإنَّ البصر لا يغضُّ عن محارم اللّه، إلَّا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»[٢].

فهذان الحديثان يؤكّدان الفكرة التي تقدّم منّا ذكرها، وهي أنّ غضّ البصر يحافظ على طهارة القلب والروح حتى يجد الإنسان حلاوة أثر ذلك في قلبه.

ب. عدم الخضوع بالقول:

بمعنى طريقة الكلام المبتذلة والتي يتضمنّها شيئًا من الميوعة، والخوض

١ - الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص٢٧١.
٢ - المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، ص١٤.

في أحاديث غير ملائمة، قال اللّه, عزّ وجلّ: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾[سورة الأحزاب: ٣٢].

ت. تجنّب المزاح والضحك:

من واجب الرجل والمرأة المسلمة الابتعاد عن المفاكهة أو تبادل النكات، أو الخوض في أحاديث غير لازمة، من شأنها أن تجرّهما إلى الوقوع في الحرام.

ث. المشي على استحياء:

من واجب المرأة المسلمة الالتفات إلى طريقة مشيها، بحيث تحافظ على قيمة العفَّة والحياء، قال تعالى واصفًا ابنة شعيب:﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**﴾[سورة القصص: ٢٥]. كذلك يجب أن تلتفت إلى عدم إبراز شيءٍ من زينتها المخفيّة من خلال طريقة مشيها، كطريقة المشي التي تصدر صوتًا للخلخال على سبيل المثال، جاء في كتاب اللّه, عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾[سورة النور: ٣١].

ج. عدم المصافحة واللّمس:

يحرم أي شكل من أشكال الاحتكاك الجسديّ بين الجنسين، ومنها

المصافحة، أو التقبيل، أو المعانقة...، فقد ورد في بعض الروايات أنّه من صافح امرأة حرامًا جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يُؤمَر به إلى النّار[١]، وعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): «مَنْ صَافَحَ امْرَأَةً تَحْرُمُ عَلَيْهِ ، فَقَدْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ...»[٢].

● ثانيًا: الواقع الاجتماعي والتحرّر من ضوابط العفَّة

لكن في المقابل، إذا نظرنا إلى الواقع الاجتماعيّ للمسلمين، في الآونة الأخيرة، يمكننا ملاحظة انحسار قيمة العفَّة، حيث لم يعد لهذه الضوابط الشرعيّة -للعلاقة بين الرجل والمرأة- مكانًا في حياة معظم شبابنا. فتحوّل الزميل في العمل أو الزميل الجامعيّ إلى صديق مقرّب، تتشارك معه الفتاة أخبارها ويومياتها من خلال المحادثة عبر الهاتف أو وسائل التواصل الاجتماعيّ التي سهّلت ومهّدت الطريق نحو الفساد، وهذا ليس حكرًا على الفتيات غير ذوات البعل، بل حتى بعض النساء المتزوّجات انجرفن مع تيّار التواصل المحرّم، وبالتالي العلاقات المحرّمة وصولاً إلى الفاحشة والزنا -معاذ الله-.

أ. الجلوس على الطرقات والتحرّش بالفتيات

ومن شديد أسف أنّه ثمة ظاهرة خطيرة أيضًا أخذت تنتشر وتتوسع في

١ - الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص٢٨٣
٢ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص١٤

أحيائنا، وهي جلوس بعض الشباب على جوانب الطرقات وفي المقاهي، بحيث تطمح أنظارهم إلى أجساد النساء المارّات على الطريق، وقد تشدّد المنهاج النبويّ في مكافحة هذه الظاهرة، حيث اعتبر النبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلّم أنّه من آداب الجلوس على الطرقات غضّ النظر عن المسلمات والمؤمنات.

فعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه، عن النبي, صلى اللّه عليه وآله سلم, قال: «إياكم والجلوس في الطرقات».

قالوا: ما لنا بدٌّ، إنّما هي مجالسنا نتحدث فيها.

قال صلى اللّه عليه وآله وسلّم: «فإذا أبيتم إلاّ المجالس، فأعطوا الطريق حقّها».

قالوا: وما حقّ الطريق؟

قال صلى اللّه عليه وآله وسلّم: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردّ السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر»[1].

بل والأقبح من ذلك، هو ظاهرة التحرّش بالنساء في الشوارع، حيث جاء في تقرير الإحصاء الذي يدرس نسبة التحرّش في العالم العربيّ لعام ٢٠٢٢، الذي أجرته الشبكة البحثيّة التي تحمل اسم «الباروميتر العربي»: بلغت نسبة التحرّش في مصر ٤٤ ٪، تليها السودان بنسبة ٣٨ ٪، ومن ثمّ تونس بنسبة ٢٨ ٪.... وهكذا لا تخلو دولة عربيّة أو إسلاميّة من ظاهرة التحرّش.

١ - أبو داود، صحيح أبي داود، حديث رقم: ٤٨١٥

وفي هذا السياق، نلاحظ أنّ الإسلام قد أدّب شبابه على غض البصر، وعدم النظر إلى أجساد النساء، من خلال التنبيه إلى سنّة طبيعيّة، تقضي برجوع الفعل الصادر عن الإنسان عليه، على مبدأ كما تدين تدان، فهل يرضى الإنسان الذي ينظر إلى أجساد النساء الأخريات أن يُنظَر إلى نسائه وأخواته وبناته؟!!

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما يأمن الذين ينظرون في أدبار النساء أن ينظر بذلك في نسائهم»[١].

ب. الاختلاط في الأسواق

كما نلاحظ أيضًا ظاهرة أخرى في أسواق المسلمين، وهي الاختلاط الذي فيه نوع من المزاحمة والاحتكاك بين الجنسين، وهي عادة سيّئة تخلّ في مكان ما بالعفَّة الاجتماعيَّة، ولذلك نلاحظ أنّ الإسلام أوصى المرأة بألاَّ تمشي في وسط الطريق، بل أن تمشي على جوانبه، حفاظًا عليها من الاحتكاك مع الرجال.

عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «ليس للنساء من سروات الطريق [أي وسط الطريق] شيء، ولكنها تمشي في جانب الحائط والطريق»[٢].

---

١ - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٢٠٠

٢ - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٨٤

وهنا تجدر الإشارة، إلى مسألة مهمّة جدًّا، وهي ضرورة أن يسعى الرجل المؤمن الّذي لديه غيرة على عرضه وزوجته وبناته، إلى الخروج بدلاً عنهنَّ للتبضّع وشراء الحاجات، أو على أقلّ تقدير مرافقتهنَّ عند إرادتهنَّ الخروج إلى الأسواق، فإنّه بذلك يحافظ عليهنّ ويشعرهن بأنّه يظلّلهنّ بحمايته.

فقد قال أمير المؤمنين, عليه السلام في زمن حكومته، مخاطبًا أهل العراق: «يا أهل العراق نُبِّئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحيون؟»[1]. وفي حديث آخر: « ولا تغارون».

ت. المصافحة تحت شعار براءة النيّة والحرِّيَّة

وفيما يخصّ ظاهرة المصافحة نرى أنّ بعض المسلمين والمسلمات وتحت شعار الصداقة أو براءة النيّة أو الشعور بالاستغراب الاجتماعيّ أو التقدّم والحرِّيَّة، أو أنّه نوع من الإساءة للمرأة والاحتقار لها... يقوم بالمصافحة أو غيرها من الأمور المحرّمة. هذا مع أنّ عدم المصافحة هو الذي يحفظ كرامة المرأة وعفّتها وحياءها لا العكس.

أمّا الشعور بالحرج الاجتماعيّ بمعنى أنّ عدم المصافحة يؤدّي إلى استغراب الآخرين من هذا السلوك، أو ينعكس سلبًا على نظرته إلى الممتنع عن المصافحة، فهي ليست مُبرِّرات شرعيّة لارتكاب الحرام.

---

١ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٥٣٧

بل قد شـاهدنا بالعين وسـمعنا من الثقات أنّهم مـرّوا بتجربة إيجابيّة في هـذا المجال، فعندما لا يصافحون ويضعـون أيديهم على صدورهم مثلاً مـع الانحناء قليلاً بالرأس ترحيبًا بالآخر، ويشرحون لهم أسـباب الامتناع عن المصافحة أنّه من باب احترام تعاليم الدين الذي ينتمي إليه الشـخص الممتنـع، وأنّه فيه احترام للآخر، لأنّ الإسـلام يمنـع أيّ نوع احتكاك بين الرجـل والمرأة إلّا في إطار الزواج القانوني حفاظًا على طهارة العلاقة بين الزوجـين وميثـاق الحبّ بينهما، فإنّ الآخر حينها لا يبدي الاسـتغراب أو النظرة السلبية، بل يتفهّم وينظر بإيجابيّة إلى المسألة.

ث - الاضطرار إلى المصافحة- نموذج من المدارس السويسريّة

نعـم، قد يضطّر الإنسـان أحيانًـا وفي حالات نادرة جـدًّا، بحيث يوقعه الامتناع عن المصافحة بالحرج الشديد الّذي لا يتحمّل عادة، أو قد يؤدّي إلى طـرده مـن العمل أو الحرمان من فرصة الدراسـة أحيانًا ، فهنا شرّع له الإسـلام التخلّص من هذا الحـرج والضرر بالمصافحـة بارتداء الكفوف أو نحوهـا، وإن لم يمكنّه ذلك جازت لـه المصافحة بما يدفع عنه الضرر ويرفع عنه الحرج.

ومـن باب المثـال على ذلك، هناك تقليد في المدارس السـويسريّة يعدُّ مصافحـة المعلّمـين علامة احترام، وقـد أكدت هيئة محليّة في سـويسرا أنّه يجب على الطلبة المسـلمين مصافحـة المعلّمين قبل انتهاء الحصص

الدراسيّة وبعدها. وقد امتنع طالبان عن المصافحة وطلبا إعفاءهما من ذلك؛ لأنّ الإسلام يحرّم المصافحة، وقد تمّ تهديدهما بأنّه قد يغرم والداهما، بحسب قرار الهيئة المحليّة، لأنّ المعلمين «لديهم الحق» في مصافحة الطلبة. وقد وصلت القضية إلى درجة تصريح وزيرة العدل السويسريّة حينئذٍ (سيمونيتا سوماروغا)، في لقاء تلفزيوني بأنّ «المصافحة باليد جزء من ثقافتنا».

وتفاعلت المسألة إلى أنّ أوقف مكتب الهجرة في بازل عملية حصول عائلة التلميذين على الجنسية السويسرية، وبعد أن استحوذت القضية على اهتمام وسائل الإعلام السويسرية، توجهت المدرسة للسلطات المحلية لتسويتها. وقالت السلطات في بيان لها الأربعاء: «إن المصلحة العامة، فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين وكذلك اندماج الأجانب، تفوق إلى حد بعيد ما يتعلق بحرية معتقدات التلاميذ». وفي المستقبل قد يواجه آباء التلاميذ أو أولياء أمورهم في مقاطعة بازل غرامات مالية، تصل إلى خمسة آلاف دولار، إذا رفض التلاميذ مصافحة معلميهم[1].

1 - https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016160525/05/_switzerland_muslim_students

الفصل الرابع:

العفاف وبعض التحدِّيات المعاصرة

المبحث الأوّل:
العفاف والطَّبابة والتَّمريض

● أوّلًا: العفاف والعلاج عند الطبيب

إنّ الإنسان -من ذكر وأنثى- معرَّض في حياته لمجموعة من الأمراض التي قد تصيبه، ويمثّل موضوع الطبابة والتمريض تحدّيًا مُهمًّا في حياة الإنسان المسلم وخصوصًا المرأة، حيث لا بدّ له من اللجوء إلى العلاج في حال مرضه أو أيّ تهديد على صحّته. ولكن وجود المرض في حدِّ ذاته ليس مُبرِّرًا كافيًّا لتجاوز الضوابط الشرعيّة، التي حدّدها الإسلام فيما يتعلّق بالعلاقات بين الجنسين، والتي ذكرنا بعضها سابقًا؛ كالنظر واللّمس المحرَّمين، فإنّ الإسلام حرص على الحفاظ على العفَّة والحياء حتى حال تعرّض صحّة الإنسان إلى الخطر والضّرر.

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة لجوء المرأة المسلمة إلى الطبيب، وكذلك كثرت ظاهرة وجود الممرّضات في المستشفيات، مما قد يؤدّي بطبيعة الحال إلى الاحتكاك الجسديّ بينها وبين المريض، من هنا، لا بدّ لنا أن نبيّن الضوابط الشرعيّة في هذا المجال، التي توائم بين العلاج من المرض والحفاظ على العفَّة الاجتماعيَّة.

النقطة الأولى التي ينبغي أن تلتفت إليها المرأة المسلمة أنّها في حال تعرّضها لأيّ عارض أو خطر صحّي، يجب عليها أوّلًا البحث عن طبيبة

أنثى ترافقها في رحلة العلاج، حتى لو لم يستلزم علاجها أيّ مخالفة للضوابط الشرعيّة كاللّمس والنّظر المحرّمين، فإنّ عملية احتكاك المرأة بالطبيب التي يرافقها غالبًا الخلوة به في غرفة العلاج هي بحدّ ذاتها أمرٌ غير مستحسن للمرأة المسلمة، فاللّجوء إلى الطبيب ينبغي أن يكون حالة استثنائية في حياة المرأة المسلمة، إذا تعسّر إيجاد طبيبة لمتابعة حالتها، واليأس من ذلك، أو حصول مشقّة لا تحتمل في إيجادها أو وجود ضرر مالي بالغ من ذلك، فتلجأ إلى الطبيب.

في هذا السياق، يقول السيّد السيستانيّ, دام ظلّه: «في حال وجود طبيبة يمُكن للمرأة مراجعتها، فلا يجوز قصد الطّبيب، إلّا إذا كلَّفت مراجعة الطّبيبة مبالغ ماليّة مُضِرَّة بحال المرأة المريضة»[1].

ولهذا الاضطّرار أحكام تضبطه أيضًا، فلا يجوز كشف ستر المرأة على الطبيب المعالج إلّا بالقدر المطلوب، فعلى سبيل المثال إذا كان المرض في ركبتها، فلا يجوز لها التساهل والتسامح تحت شعار الحرج الاجتماعيّ من الطبيب كشف كامل ساقها، بل عليها الحفاظ على العفَّة والحياء والضوابط الشرعيّة والاكتفاء بكشف موضع المرض أو الجرح. وإذا كان موضع المرض أو الجرح بحاجة إلى المعاينة اللّمسيّة، فلا يجوز اللّمس من غير حاجب كالقفاز على سبيل المثال. كما يتجنّب الطبيب النظر المباشر إذا أمكنه العلاج باللّجوء إلى النظر عبر الشاشة أو المرآة أو غيرها من الوسائل.

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/02124/

هـذه الأحكام تنطبق عـلى التمريض كـما تنطبق على الطبابة، يقول السـيّد السيستانيّ, حفظه اللّه, في هذا المجال: «يقوم المُمرِّض في المستشفيات بجسّ النبـض وقياس ضغط الدَّم وتضميد الجرح وغـير ذلك، فيجب على المرأة أن تطلـب قيام أحد الممرِّضـات بالأعمال المذكورة، أو تطلـب من المُمرِّض أن يلبس قفازًا أو يضع حاجزًا كالمنديل، ليحول ذلك دون لمس جسدها»[1].

● ثانيًا: العفاف وعمليّات الجراحة التجميليّة

ذكرنـا في المباحث السـابقة أنّ اللّه ,تعـالى، خلق المـرأة بطبيعتها تميل إلى الجـمال والتزيّن والتجمّل وتحسـين صورتها ومظهرهـا أمام الآخرين، وقد لفت القرآن الكريم إلى هذه المسـألة في قوله ,تعالى،: ﴿**أَوَمَن يُنَشَّـأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ**﴾[سـورة الزخـرف، الآية: ٢٠]، فالمرأة كائـن عاطفيّ، «ومن أوضح مظاهـر قوّة عواطفهـا تعلّقها الشـديد بالحلية والزينـة»[2]، وقد انتشرت في عصرنا الحاضر ظاهرة لجوء النسـاء إلى عمليّـات التجميل، للحصول على جسـم رشـيق، أو أنـف جميل أو شـفاه مميّـزة، أو أثداء كبـيرة، أو تخطيط الحواجـب، أو تجميل الأعضاء التناسـلية بعد الحمل والـولادة... إلخ من الحالات.

ولا شـكّ في أنّ عمليـات التجميل تلعب دورًا مهمًّا بالنسـبة للمرأة بل

---

1 - https://almojib.com/ar/question/6259

٢ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٩٠.

الإنسان مطلقًا من نواحي متعدّدة، منها: أنّها قدّمت حلاًّ وعلاجًا لبعض العقد التي قد تعيشها المرأة تجاه ما يصيبها من حروق أو جروح أو تشوّهات خلقيّة، أو تغيّر الملامح مع تقدّم السنّ.

لكن، تجاوزت عمليّات التجميل حالة العلاج الجسديّ أو تحسين الجمال، إلى أن تصبح هوسًا ومرضًا بما يُسمّى بالـ «نيو لوك». وأصبحت هناك شركات تجاريّة كبرى تستثمر في جسد المرأة، وتمارس عليها سطوة الدعاية والإعلان للإقناع بهذه العمليّة أو تلك، فأصبحت بعض النساء يلجأن إلى عمليّات التجميل حتى لو لم يكن بهنّ أي عيب خلقيّ أو جماليّ، فقط لمجرد التقليد أو المحاكاة لهذه الفنانة أو تلك الموديل، أو من باب الغَيْرة من صديقتها، أو التأثّر بالموجة العامّة لمنطق الموضة ومعايير الجمال العصريّة، إلى درجة نشهد معها حالة من النسخ المتشابهة من النساء، هذه المعايير التي قد تتغيّر بين ليلة وضحاها، تجعل المرأة تسعى إلى إجراء عمليّة تجميل أخرى لأنفها مثلاً بعد فترة قصيرة من إجرائها لعمليّة تجميل سابقة له.

على المرأة أن تكون واثقة من نفسها، ومتصالحة مع مظهرها وجمالها وتتقبّل ذاتها، ولا تعبث بخلقتها، ويكون هاجسها هو مجرد إجراء عمليّات التجميل لأسباب غير علاجيّة أو تجميليّة محضة، بل لأجل أن تقارن بفلانة أو فلانة، أو لترضي رغبات هذا الرجل أو ذاك. كما أنّه يجب عليها أن تكون بصيرة واعية بحيث لا تخضع لمنطق معايير الجمال التي

يفرضها المستثمرون في جسد المرأة لجني الأرباح الطائلة، والتي هي معايير وهميّة متغيّرة غير ثابتة.

الضوابط الشرعيَّة للجراحة التجميليّة

وبالانتقال إلى الضوابط الشرعيّة للجراحة التجميليّة بما يضمن الحفاظ على العفَّة والحياء وعدم كشف المرأة المسلمة لسترها أمام الأجنبيّ حتى لو كان طبيبًا، يجب الالتفات إلى جواز إجراء العمليّات التجميليّة إن كان بقصد التجمّل المحض أو بهدف إصلاح التشوّهات أو غيرها من المشكلات الصحيّة. لكن، يجب على المرأة اللّجوء إلى الطبيبة الأنثى في حال كان موضع العمليّة الجراحيّة في الجسد أو الأماكن الواجب سترها. أمّا في حال الجراحة في الوجه على سبيل المثال يجوز للمرأة اللّجوء إلى الطبيب الرجل، إذا كانت العمليّة لا تستلزم كشف ما عدا الوجه من رأسها، ولا لمس بدنها من غير حائل.

يقول السيّد السيستانيّ, حفظه اللّه: «لا يجوز أن يكون المُباشِر أجنبيًّا إذا كان مُستلزِمًا للّمس أو النّظر المُحرَّمَين، إلّا إذا كان ترك العمليّة مُوجِبًا للوقوع في العسر والحرج الشديدَيْن، فمثلاً، إذا كانت سمنة المرأة مُوجِبةً لوقوعها في المرض الشَّديد أو الحرج الشَّديد الذي لا يُتحمَّل عادة كما لو اضطرت لرفع تشوّه مثلاً، جاز لها أن تراجِع الطّبيب الرَّجل مع عدم إمكانية مراجعة الطبيبة أو إذا كان أرفق بعلاجها، فيجوز له النظر أو اللّمس

بالمقدار الذي يتوقف عليه معالجتها»[1].

وفي حال اللّجوء إلى الطبيبة الأنثى، لا يجوز إجراء العمليّات التجميليّة في مواضع العورة كالمهبل على سبيل المثال، إلّا إذا كان ترك العمليّة يؤدّي إلى حرجٍ شديدٍ، كالمشكلات النفسيّة أو إعراض الزوج عنها أو ما إلى ذلك.

عمليات إزالة شعر جسم المرأة

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة أخرى متفشّية في مجتمعنا، وهي إزالة المرأة شعر جسمها بوساطة عمليّات الليزر، ومنها شعر المنطقة الحسّاسة، وهنا لا تختص حرمة الكشف بالطبيب فقط، بل تشمل أيضًا الطبيبة، فلا يجوز للمرأة المسلمة تمكين الطّبيبة من النّظر واللّمس المُحرَّمَيْن لإزالته به، ويبعد تحقّقها عادةً بالنسبة إلى الشَّعر النابت في (المنطقة الحسّاسة) للتمكّن من إزالته بغير ذلك.

● خلاصة وخاتمة

والخلاصة، بالنظر إلى واقعنا الحاليّ، نرى أنّ ظاهرة مراجعة الأطبّاء الذكور أصبح رائجًا، بل وأصبحت النساء يتعاملنَ مع الطبيب الرجل بكل أريحيّة وكأنّه واحدًا من محارمها، بحجّة القسم القانونيّ الذي يقسمه الطبيب عند بدء مزاولة المهنة. ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما قيمة

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/0608/

هذا القسم القانونيّ فعليًا؟! ألا يقسم رؤساء الجمهوريّات أن يحافظوا على أمن واستقرار ومصالح البلاد، ومن ثمّ يعيثون فسادًا وطغيانًا فيها؟! وكم عدد الأطّباء الّذين يقيمون علاقات مع مريضاتهم؟! فهل يبقى لهذا القسم -الذي تحتج به النساء، بل وأزواجهنّ المجرّدِين من أي غيرة- أيّ قيمة؟!

وفي نهاية المطاف، يؤدّي انتشار هذه الظاهرة إلى هتك ستر وحرمة المرأة، فمن الممكن للمرأة أن تتعرض لأمراض أو جروح متعدّدة ومتكثّرة، فتنكشف على عددٍ كبيرٍ من الأطّباء في مجتمعها. بل الأسوأ من ذلك، هو كسر الحاجز النفسيّ للمرأة الذي من شأنه أن يردعها عن كشف جسدها أمام الأجانب، فبفعل التكرّر الحاصل من زيارة الأطبّاء الرجال، تفقد المرأة شيئًا فشيئًا قيمة الحياء أو الخجل عند كشف جسدها أمام الأجانب.

المبحث الثاني:
العفاف ونشاط المرأة الاقتصاديّ

● أوّلاً: العفاف وحقّ المرأة المؤمنة في العمل

ضَمِن الإسلام حقّ المرأة في العمل خارج المنزل، خصوصًا إذا ما كان هذا العمل ضروريًّا لنفقتها على نفسها في حال عدم وجود المعيل الماديّ لها، وكذا ترك لها حريّة العمل بدون الضرورة، مع مراعاة قيمة العفَّة والحياء والضوابط الشرعيّة، ومنها السَّتْر والحجاب الشرعيّ، واجتناب الاختلاط أو الخلوة، ومراعاة حقوق الزوج، أو الوالد.

يمكن لعمل المرأة أن يشكّل فارقًا في المجتمع الإسلاميّ، فعلى سبيل المثال -وكما جاء ذكره في المبحث السابق- يمكن للمرأة أن تخدم مجتمعها من خلال دخولها في مجال الطبّ أو التمريض، مساعِدةً بذلك النساء الأخريات في إيجاد الطبيبة أو الممرّضة التي يحتجنها.

بالإضافة إلى عملها في المجال الثقافيّ أو التربويّ، حيث إنّ طبيعة المرأة التكوينيّة تمكّنها من التعامل مع الأطفال والأولاد، لذا نجد نسبة المعلّمات أكبر من نسبة المعلّمين، خصوصًا في المراحل التعليميّة الأولى، كروضات الأطفال.

● **ثانيًا: ضوابط عمل المرأة**

وكما في كلّ مجالات الحياة، وضع الإسلام ضوابطًا لعمل المرأة خارج المنزل بهدف الحفاظ على عفّتها وحيائها، نذكر بعضًا منها:

- تجنّب الاختلاط بالرجال مع عدم الأمن من الوقوع في الفتنة.
- عدم وجودها في مكان مغلق مع أجنبيّ، أي تجنّب الخلوة.
- الحفاظ على اللّباس الشّرعيّ.
- ترك المصافحة أو أي نوع من أنواع الاحتكاك الجسديّ مع الجنس الآخر.
- ألاّ يكون مجال عملها يساعد في نشر الفساد، كتزيين النساء السافرات مع علمها بسفورهنّ وأنّهن سيستخدمن تلك الزينة في الحرام.
- أن يكون عمل المرأة المتزوجة بإذن الزوج.
- أن يكون عمل المرأة العازبة لا يؤدّي إلى غضب الوالدين شفقة عليها.

ومن الواضح أنّ مجتمعاتنا، انفصلت نوعًا ما عن الضوابط الشرعيّة الإسلاميّة، فصارت المرأة تشارك في شتّى أنواع الأعمال، من دون أي مراعاة للضوابط الشرعيّة، فبدأت بتغيير لباسها بحجّة أن الحجاب الشرعيّ لا يتماشى مع طبيعة عملها أو أنّه يعيق حريّة حركتها. جاء -مثلاً- في تحقيق أجرته القناة الألمانيّة «DW»: «تشرح فاتن وهي موظّفة محجّبة في إحدى الشركات، أن طبيعة عملها تتطلّب منها الأناقة خاصّةً أنّها تقابل يوميًّا عشرات الزبائن. وتقول في هذا الإطار «أنا كموظفة أُعتبر واجهة للمؤسّسة التي أعمل فيها». وتضيف: «لا يمكنني أن آتي بالحجاب الأسود

أو برداءٍ طويلٍ فضفاضٍ ذي ألوانٍ موحّدة وجامدة». وتلفت إلى أنها كامرأة متزوجة في الثلاثين من عمرها، لا تريد أن تبدو كتلميذة مدرسة»[1].

ومن المظاهر الأخرى المنتشرة في مجال عمل المرأة في أيّامنا هذه، وجودها مع زميلها في العمل في مكتبٍ خاصٍ ومغلقٍ، حيث يتبادلون الأحاديث والنكات والمفاكهة تحت شعار «الزمالة». ولا ننسى ظاهرة مجاراة مديرها في العمل لحرصها على ضمان حفظ مكانتها الوظيفيّة أو عدم فقدانها.

هذه الآثار والمفاعيل السلبيّة الناتجة عن عمل المرأة من غير ضوابط، لا بدّ أن تجري على كامل حياة المرأة، حيث تبدأ بالابتعاد عن دينها خارج إطار العمل أيضًا، بالإضافة إلى تفلّتها من القيود والضوابط الشرعيّة التي تحفظ كرامتها وعفّتها.

١ - «الحجاب المودرن» يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الديني - DW - ١٦/٩/٢٠١١

المبحث الثالث:
العفاف والنشاط الثقافيّ والإعلاميّ والفنيّ

في ظـلّ الانحلال الحاصل في وسـائل الإعلام والسـينما، إذْ يتمّ إبراز صورة المرأة على نحوٍ سـطحيٍّ منـاف للحياء والعفَّة، لا بدّ للمجتمعات الإسـلاميّة من إيجاد بديلٍ يحاكي التطلّعات الإسلاميّة، ويراعي الشريعة، يعمل على تصدير صورة المرأة المسـلمة التـي ظلّلها اللّه عزّ وجلّ برداءٍ من الحياء والعفَّة من خلال الضوابط التي وضعها لها حفاظًا على كرامتها ومكانتها.

مـن واجب المرأة المسـلمة أن تحكّم عقلها وفطرتهـا، ولا تنجرّ وراء الحمـلات الغربيّـة التي تريـد أن تبرز المرأة في صورةٍ تحـطّ من قدرها، وتحبسها في سجن المعايير الغربيّة. بل يجب عليها أن تلتفت إلى تعاليم دينها وإلى الصورة والشأنيّة التي أرادها الإسلام للمرأة.

تلعـب المرأة دورًا بارزًا في المجال الثقافيّ والفنيّ، وهو دورٌ حسّـاس نوعًا ما، إذْ إنّ الصـورة المعتادة للفنانة أو الإعلاميّة في أذهان الجماهير، هي صورة المرأة السـافرة المتبرّجـة، التي تلعب على أوتار صوتها بحيث يصبح صوتها ناعمًا وفيه شـيئًا من الميوعة. وهنا تقع المسـؤوليّة الكبيرة على عاتق الفنانة أو الإعلاميّة المسـلمة، التي من المفترض أن تسعى إلى تغيير تلك الصورة النمطيّة لدى الجماهير.

وفي تفصيل المجال الفنيّ، نتطرّق إلى التمثيل وصناعة الأفلام: للمرأة دورٌ مهمٌّ في هذا المجال، حيث تشارك في صناعة المسلسلات والأفلام الإسلاميّة التاريخيّة مثلاً، مؤدّيةً دور إحدى الشخصيّات النسائيّة المرموقة في عصرها، مبرزةً طهارة وعفّة تلك الشخصيّة من خلال سترها وحيائها وطريقة كلامها ومشيها كشخصيّة السيدة مريم بنت عمران على سبيل المثال. ولا يقتصر دورها على تلك المسلسلات والأفلام، بل يتّسع ليشمل المسلسلات الاجتماعيَّة والأسريّة، حيث تنقل صورة المرأة المسلمة والتحديات التي تواجهها في مجتمعها وكيفيَّة التعامل معها.

أمّا فيما يخصّ المجالات الفنيّة الأخرى، كالرسم، والنحت، والعزف على الآلات الموسيقيّة، فإنّ المجتمع الإسلاميّ بحاجة إلى مشاركة المرأة في تلك المجالات بهدف تصدير صورة المرأة المسلمة إلى المجتمعات الأخرى التي تعتقد جهلاً أنّ المرأة المسلمة مسجونةٌ في منزلها ولا يحقّ لها أن تشارك في الحياة الفنيّة أو الثقافيّة، بالإضافة إلى دورها في تدريب وتأهيل الفتيات لتنمية مهارتهنّ بالشكل التقنيّ الصحيح.

لا بدّ من مشاركة المرأة في المجالات الثقافيّة للمجتمع الإسلاميّ، إذْ إنّ مشاركتها تترك أثرًا إيجابيًّا عليها وعلى مجتمعها على حدٍّ سواء، إلّا أنّ مراعاة الشريعة الإسلاميّة في عملها وإرادة خدمة المجتمع الإسلاميّ شرطٌ من شروط ذلك العمل وتلك المشاركة.

قد نلاحظ في الآونة الأخيرة، بعض الفضائيّات الإسلاميّة تُبرز صورةً

إعلاميّـةً عن المرأة المسـلمة بشـكلٍ لا يليق بها، فتظهـر مذيعة الأخبار أو مقدِّمـة البرامج أو المراسِـلة على تلك الفضائيّـات بكامل زينتها، من مساحيق تجميل وقلائد وغيرها، وتكاد لا تتميّز عن المذيعات السافرات إلّا بغطـاء الرأس، وكأنّ غطاء الرأس هو المظهر الكافي لإبراز قيمة العفَّة والحياء.

بالإضافة إلى النساء المسلمات اللّاتي يشاركن في الفعاليات الرياضيّة، التي تتطلب أداء الحركات الجسـديّة المنافية للعفّة على نحوٍ فاضحٍ، إلّا أنّهـا تصرّ على احتفاظها بغطاء الرأس التقليديّ الذي ترتديه مع الألبسـة الرياضيّة الضيّقة التي لا تغطّي شيئًا من مفاتن جسدها وتفاصيله.

ولا ننـسى تسـليط الضوء عـلى الفتيـات المتديّنات نوعًا مـا، اللّواتي يخلعن رداء التديّن في حفلات تخرجهنّ على سبيل المثال، وكأنّ فرحتهنّ بالتخرّج تجيز لهـنّ الظهور بمظاهر غير لائقة في هذا اليوم المحدّد. فما علاقـة أن تعيش إحداهـنّ لحظات الفـرح بنجاحها وتحقيقهـا الإنجاز الدراسيّ المطلوب بأن تظهر بتلك الصورة غير اللّائقة من لباس وتزيّن؟! وهل أنّ التزامهنّ بالشرائع الإلهيَّة يحرمهنّ من تلك الفرحة؟!!

أمام هذه الظاهرة المسـيئة، التفتت بعض المؤسّسـات التابعة للعتبات المقدّسـة في العـراق إلى ظاهـرة حفـلات التخـرّج المـلأى بالمظاهر التي تعـارض قيمتي العفَّـة والحياء، إذْ شرعت في تنظيـم فعاليّات تتيح للفتـاة المتديّنة الاحتفال وإظهار الفرح في هـذا اليوم، ولكن مع الالتزام

بالضوابط الشرعيّة.

جميع هذه المظاهر -التي تقدَّم ذكرها- تسيء إلى السَّـترْ والعفاف، ولا ريب في أنّها تسيء إلى مجتمعاتنا الإسـلاميّة إساءة كبيرة، نتيجة انتشارها وقدرتها على تكوين صورة معيّنة عن النساء المسلمات لدى المجتمعات الأخرى.

الفصل الخامس:

العفاف وبناء الأسرة

المبحث الأول:
دور الزواج في العفاف الأسْريّ والاجتماعيّ

● أوّلًا: اهتمام الإسلام بسنّة الزواج

أولى الإسلام أهميّة بالغة للزواج، إذ اعتبره من السنن التكوينيّة الفاضلة في حياة الإنسان، ولذا نجد القرآن الكريم ذاخرًا بالآيات التي تتحدّث عن الزواج، وكذا الروايات والأخبار الواردة عن النبيّ (ص) وآل بيته (ع).

قال اللّه ,تعالى،: ﴿**وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[سورة الروم: ٢١]، أي خلق قرينًا أو زوجًا لكم لينفعكم به، ونسبة القرين إلى النفس في «من أنفسكم» تعود إلى التكامل النفسيّ والروحيّ الحاصل للنفس عند التقائها بقرينها، إذا ما أحسنت اختيار القرين. والسكون هو الطمأنينة والراحة الحاصلة في فلسفة الزواج التكوينيّة.

فالزواج في المقام الأوّل يهدي إلى الكمال الذي تميل إليه كلّ نفسٍ ناقصة، فاقدة لقرينها، الذي من المفترض أن يشكّل المكمّل والمتمّم لها، الذي يتمتّع بالقدرة على صنع جوٍّ من السرور والطمأنينة للآخر.

وجاء في الآية ١٨٧ من سورة البقرة: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾، واللّباس يمكن تفسيره بعدّة وجوه، فمن الممكن أن يتمّ تفسيره

على أنّه اللّباس الذي يساعد على الادّثار والدفء والسكون، وهذا يكون مطابقًا لما ذكر في مقام الآية السابقة. إلّا أنّ التفسير الأشهر المستفاد من سياق الآية: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ**﴾، هو تفسير اللّباس بالغطاء الساتر للبدن، والسَّتْر هنا يعني ترك الفجور، أي أنّ كلًّا من الزوجين يساعد الآخر على ترك الفجور، ويحصّنه ويمنعه من إتيان المحرّمات الجنسيّة.

● ثانيًا: دور الزواج في الحفاظ على العفاف

إنّ من أبرز مظاهر العفَّة النفسيّة هي عفّة الفرج، ومعنى عفّة الفرج الامتناع عن الركون إلى النكاح المحرّم، والنكاح المحرّم هو أي علاقة جنسيّة قائمة خارج الإطار الشرعيّ وهو الزواج، دائمًا كان أو منقطعًا.

لقد خلق اللّه الإنسان وأودع فيه الرغبة والشهوة الجنسيّة التي تحثّه على الزواج وإعمار الأرض وبناء المجتمع الصالح وغيرها من الغايات. إلّا أنّه لا بدّ لنا من الالتفات إلى أنّ الاستمتاع الجنسيّ والأنس العاطفيّ يشكّلان غايةً مستقلّةً في حدّ ذاتها. ولأجل إشباع تلك الرغبات الجنسيّة والعاطفيّة، لا بدّ للإنسان من شريكٍ يؤمنّها له، في إطارٍ شرعيٍّ يرضي اللّه, عزّ وجلّ.

فإن لم يتمّ إشباع تلك الحاجات والرغبات الجبلِّيّة الموضوعة في الإنسان، فقد يتعرّض الشاب أو الفتاة للفتنة، ممّا قد يوقعهم في فخّ

المحرّمات والعلاقات غير الشرعيّة. ومن هنا، يمكننا القول: إنّ الزواج يشكّل حصنًا مانعًا من إتيان الذنوب.

عن رسول اللّه, صلى اللّه عليه وآله قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج»[١]. وعنه (ص) أيضًا: «من أحبّ أن يلقى اللّه طاهراً مطهّرًا، فليتعفّف بزوجة»[٢].

نعم، فرض الإسلام على الإنسان تهذيب غرائزه بأن يخضعها للضوابط الإلهيَّة الشرعيّة، فعلى سبيل المثال، حثّه على تهذيب الغريزة الجنسيّة وضبطها ضمن حدود الزواج الشرعيّ، إلّا أنّه لم يفرض على الإنسان نسف هذه الغريزة باللّجوء إلى الرهبانيّة وترك النكاح بشكلٍ كليٍّ، ولم يكتفِ الشارع المقدّس بعدم فرض الرهبانيّة، بل ذهب أبعد من ذلك وأوجب تركها، على لسان رسول اللّه حيث قال: «لم يرسلني اللَّه بالرهبانيّة ولكن بعثني بالحنيفيَّة السمحة أصوم وأصلّي وألمس أهلي فمن أحبّ فطرتي فليستنّ بسنّتي ومن سنّتي النكاح»[٣].

● ثالثًا: العفاف ومعايير اختيار الزوج/ة

إنّ فلسفة الزواج في الإسلام ذات الأهداف والغايات السامية، تحتاج

١ - البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٩، ص٢٠.
٢ - الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص١٥٠.
٣ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٤٩٤.

إلى جهدٍ شخصيّ من الإنسان والأفراد المقدمين على الزواج لتحقّق الأهداف التي رسمها اللّه ,تعالى،. إذ لا يمكن لشخصٍ أساء الاختيار أن يقول لم يؤمّن لي الزواج هذا الهدف أو تلك الغاية. نعم، هي سنن كونيّة موضوعة من قبل اللّه عزّ وجلّ، لكنّ لا بدّ لها من الأسباب والمسبّبات الطبيعيّة حتى تجري مجراها الصحيح. لكنّ حكمة اللّه عزّ وجلّ، لم تترك الإنسان ليتشتّت في أودية هذه المسألة المهمّة، التي يمكن لها أن تحدّد مسيرة حياته المستقبليّة، فوضع اللّه, عزّ جلّ, معايير محدّدة في اختيار الشريك في سبيل قطف ثمار تلك العلاقة، وفيما يلي نذكر بعضًا منها:

١. أوّلًا: صفات الزوجة الصالحة:

- أن تكون متديّنة، بمعنى المرأة المراعية للضوابط الشرعيّة، التي تحرص على كسب رضا اللّه عزّ وجلّ في نفسها وفي سلوكها، فعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قال رسول اللَّه (صلى اللّه عليه وآله): عليكم بذات الدّين»[١]
- أن تتمتّع بالجمال، فإنّ الميل إلى الجمال يعدُّ أمرًا فطريًّا لا يتعارض مع التديّن والالتزام بالشريعة، بل بالعكس فإنّ الإسلام يحثّ على اختيار الجميلة والوسيمة. وفي هذا السياق قال رسول اللّه (ص): «أفضل نساء أمّتي، أصبحهنّ وجهاً...»[٢].

١ - الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٧، ص٣٩٩.
٢ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٣٢٤.

● أن تحفظ زوجها في نفسه وماله، أي لا تخونه في غيابه أو تضع ماله في غير موضعه إذا ما أمّنها عليه، فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: «ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة، إذا رآها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»[١].

● أن تتمتّع بصفة العفَّة، فعن جابر بن عبد اللّه، قال: «كنّا عند النبي (صلى اللّه عليه وآله)، فقال: إن خير نسائكم: ...العفيفة»[٢].

٢. ثانيًا: صفات الزوج الصالح:

● أن يكون ذو دينٍ وخُلُق، أي يكون ملتزمًا بالضوابط الشرعيّة حريصًا على عدم هتك حرمات اللّه، بالإضافة إلى تمتّعه بحسن الخُلُق فلا يؤذي زوجته ولا يهينها. قال رسول اللّه في هذا السياق: «إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوّجوه»[٣].

● أن يكون عفيفاً، فعن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: «الكفء أن يكون عفيفاً»[٤].

● أن يكون جوادًا سخيًّا، قال رسول اللّه (ص): «إنّ من خير رجالكم

١ - القمي، قرب الإسناد، ص٣٢٧.
٢ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٣٢٤.
٣ - البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٢٠، ص٨٤.
٤ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٣٤٧.

التقيَّ، النقيَّ، السمحَ الكفّين...»[١].

● أن يكـون غيـورًا على عرضه، فقد ورد عن رسـول اللّه (ص) أنّه قال: «كان إبراهيـم أبي غيـورًا، وأنا أغـير منه، وأرغم اللّه أنـف من لا يغار من المؤمنين»[٢].

● رابعًا: العفاف وضوابط العلاقة الزوجيّة

بعد اختيار الشريك الصالح والمناسـب للزواج، وضع الإسلام ضوابط للعلاقـة الزوجيّة، من أجل إعـلاء قيمة العفاف في المجتمع. ولا سـبيل لإعـلاء هذه القيمة إلّا بعلاقة زوجيّة مناسـبة ملأى بالودّ واللّطف تشـبع الحاجات العاطفيّة والجنسـيّة للطرفين. وفي هذا السـبيل، حفّز الإسـلام المـرأة المتزوّجـة على التزيّـن والتجمّل لزوجها بهدف اسـتمالته عاطفيًّا وجنسـيًّا، فعلى المرأة أن تبـذل جهدًا كافيًا لتظهر بأحسـن مظهر وأجمل صـورة أمـام زوجها بغيـة إمتاعه وتقريبـه منها، ومـن ثَمَّ تعميـق العلاقة المعنويّة والجسديّة بينهما، وفي هذا السياق، ورد عن رسول اللّه: «وعليها (أي الزوجة) أن تطيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوةً وعشيَّة...»[٣].

---

١ - الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٧.
٢ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٤٤.
٣ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٥٠٨.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ التزيّن والتجمّل ليس حكرًا على النساء، فينبغي على الرجل أيضًا أن يعمل على الظهور بمظهرٍ حسنٍ أمام زوجته وأن يتهيّأ لها، إذ إنّ التهيّؤ الجسديّ وتنظيف البدن وتزيينه يزيد من عفّة النساء، لأنّه يحصّنها من الالتفات إلى غير زوجها، فعن الإمام الرضا, عليه السلام قال لذروان المدائنيّ: «أما علمت أنّ التهيئة تزيد في عفّة النساء؟! أيَسرّك أنّك إذا دخلت على أهلك فرأيتها على مثل ما تراك عليه إذا لم تكن على تهيئة؟!

قال المدائنيّ: لا .

قال عليه السلام : هو ذاك»[١].

وعنه, عليه السلام, قال: «.. إنّها تحب أن ترى منك مثل الذي تحب أن ترى منها، ولقد خرجن نساء من العفاف إلى الفجور، ما أخرجهنّ إلاّ قلّة تهيّؤ أزواجهنّ»[٢].

أمّا فيما يخصّ العفاف داخل أسوار العلاقة الزوجيّة، فمن المهمّ الحفاظ على تلك القيمة في العلاقة الجنسيّة بين الزوجين، فعلى سبيل المثال، يحرم وطء الزوجة في الحيض، كما تحرم على الصائم ممارسة الجنس خلال نهار شهر رمضان المبارك. فمن لم يبنِ في نفسه ملكة العفَّة، فلن يحفظ عفّته في علاقته مع زوجته، وقد يقع في فخّ المحرّمات حتى داخل إطار الزوجيّة المشروعة.

---

١ - الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٧٩.

٢ - الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٨١.

● خامسًا: آثار العنوسة السلبيَّة على العفاف الاجتماعيّ

وفي نهايــة المطــاف، وبالعــودة إلى الواقــع الاجتماعيّ، تشــير إحصائيّات العنوســة -أي المرحلة العمريّة التي تصل إليها الفتاة دون أن تتزوّج- في العالم العربيّ والإسلاميّ إلى معدلّات مقلقة، حيث بلغت نسبة العنوسة في لبنان ٨٥ ٪، أمّا في العراق وســوريا فوصلت النسبة إلى ما يقارب الـ٧٠ ٪[١]، وفي إيران بلغ عدد الفتيات غير المتزوجات فوق ســنّ العشرين ٣ ملايين و٧٠٠ ألف[٢]. وهذه الإحصائيّات المختصّة بالعنوسة لدى الفتيات، تعكس واقع العزوبة لدى الشــباب لأنّ العلاقة بين العنوســة والعزوبة هي علاقة طرديّــة، أي كلّما زادت نسبة العنوسة زادت معها نسبة العزوبة تلقائيًّا.

يمكننــا اعتبــار زيادة نســبة عــزوف الشــباب والفتيات عــن الزواج في مجتمعاتنــا ظاهرة خطــيرة ومقلقة، لما لها من تداعيات وآثار ســلبيّة على الشباب والمجتمع، ومن هذه السلبيّات:

- الركون إلى العلاقات المحرّمة كالزنا والاســتمناء واللواط والسِّــحاق وغيرها، لأنّ الشــاب أو الفتاة سيعيشــان تحت مطرقة الحاجات الجنسيّة والجسديّة التي سوف تلحّ عليهما في حال غياب الزواج، أي عدم إشباعها بالشكل الشرعيّ والمضبوط.
- الميل نحو الانحراف الأخلاقيّ وزيادة نسبة التحرّش، بالإضافة إلى ما

---

١ - أكثر الدول العربية في معدلات العنوسة | المرسال (almrsal.com)
٢ - العنوسة تطارد الإيرانيات | إندبندنت عربية (independentarabia.com)

يستتبعها من شعور بالذنب وتأنيب الضمير والضيق النفسيّ.

- القلق والتذبذب النفسيّ بفعل عدم الإحساس بالطمأنينة والاستقرار والأنس الذي يؤمّنه الزواج.

وبعد معاينة الآثار السلبيّة لعزوف الشباب عن الزواج، لا بدّ لنا من العمل على تحفيز الشباب المسلم على الزواج من خلال تبيان وإيضاح إيجابياته وأهدافه الثمينة، ومساعدتهم كذلك على حسن الاختيار الذي من شأنه أن يوصلهم إلى الغايات العليا المقرونة بالزواج.

المبحث الثاني:
دور غَيرة الزوج في تنشيط ثقافة العفاف

● أوّلًا: إنّ الله, تبارك وتعالى، غيور يحبّ كلَّ غيور

الغَـيْرة -بالفَتح- المصدَرُ من قَولك: غـار الرَّجُلُ على أهلِه والمرأةُ على بَعْلِها، تَغارُ غَيْرةً ، والغَيْرة: هي الحَمِيَّةُ والأَنَفةُ[١]

وعـرّف الراغب الأصفهانيّ الغَيْرة بأنّها ثَـوَرانُ الغَضَبِ حمايةً على أكرَمِ الحُرَمِ، وأكثرُ ما تُراعى في النِّساء[٢]

كنـا قد أشرنا في المبحـث السـابق إلى أنّ الغَيْرة تعدّ مـن أبرز صفات الـزوج الصالـح، بل هـي من مكارم أخـلاق الرجال، وهـي صفة ملازمة لصفة العفاف، فمن غير الممكن أن لا يغار الرجل العفيف على زوجته أو محارمـه، لأنّ رعايتهم وحفظهم عن أعـين الأجانب تُعَدُّ من أجلى مظاهر قيمتي الغَيْرة والعفاف الموضوعة فطريًّا في نفس الرجل.

وبما أنّ الرجل المؤمن من المفروض عليه أن يتخذ على عاتقه التخلّق بأخلاق اللّه عزّ وجلّ ورسـوله الكريم محمّد (ص)، فلا بدّ لـه أن يتّصف بالغَيْرة لأنّها مـن صفات اللّه, عزّ وجلّ، فعن أبي عبد اللّه عليه السـلام قال: «إنّ اللّه, تبارك

---

١ - ابن منظور، لسان العرب، (غ ي ر).
٢ - الأصفهانيّ، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٤٧.

وتعالى، غيور، يحبّ كلّ غيور ولغيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها»[1].

ومن خلال هذا الحديث الوارد عن أبي عبد اللّه، يمكننا استشعار أنّ الغَيْرة ملازمة لترك الفواحش، إذ إنّ الرجل الذي يحفظ حدود اللّه في زوجته ويحميها من مشاركة الأغيار، يحصّنها ويبعدها عن كلّ ما قد يوقعها في الفتنة أو الريبة، ولا يسمح بأن تكون زوجته وسيلةً متحرّكةً تثير غرائز وشهوات الرجال في المجتمع. وكما أنّ الغَيْرة تُصنّف من أرقى الملكات النفسانيّة، ففي مقابلها ملكة عدم الغَيْرة أو الدِّياثة التي تعدّ من أدنى وأحقر الملكات النفسانيّة، التي تستقرّ في نفس الرجل نتيجة بعده عن اللّه, تبارك وتعالى، وطمسه للفطرة الإلهيَّة السامية المجبول عليها.

وكنّا قد أشرنا في الفصل الأوّل إلى ادّعاء الغربيِّين الذي يُعرّف الغَيْرة بأنّها مظهر من مظاهر الأنانيّة، بل أكثر من ذلك، اعتبرها بعضهم غريزة حيوانيّة منتشرة في المجتمعات البدائيّة, ومن المفترض أن تتلاشى مع التطوّر والتقدّم المجتمعيّ. هذه الأفكار الباطلة، وبفعل سيطرة الفكر التغريبيّ على مجتمعاتنا، قد تركت أثرها في نفس رجال مجتمعاتنا، فشرع بعضهم إلى التخلّي شيئًا فشيئًا عن هذه القيمة السَّنيَّة، فأضحت ظاهرة النساء السافرات مشهدًا منتشرًا و «عاديًّا» في شوارعنا، وأسواقنا، وجامعاتنا، ومؤسّساتنا و...الخ

---

١ - النراقي، جامع السعادات، ج١، ص٢٠٤-٢٠٨.

● **ثانيًا: غيرة الرجل والعفاف الاجتماعيّ**

إنّ الرجل المجرّد من غيرته، لا يجد أيّ مشكلة في خروج زوجته -أو محارمه- بشكلٍ مثيرٍ أمام أعين الأغيار، بل يعدُّ نفسه ذا عقليّة منفتحة ومتطوّرة تحفظ لزوجته حريّتها، لا بل أكثر من ذلك، فمن الممكن أن نجد بعض الرجال يتباهى ويشعر بالفخر في إظهار محاسن ومفاتن زوجته، وكأنّه يعرض سيّارةً أو سلعةً قد اشتراها، لينافس أصحابه أو أقرانه!

ولا ريب في أنّ ظهور المرأة في تلك الحالة المخالفة للشريعة الإلهيَّة، تؤذي المجتمع بشكلٍ فادحٍ، إذ إنّها تتحوّل من إنسانٍ إلى كائنٍ من شأنه أن يستحضر شهوات الرجال الّذين يرونها، ممّا في غالب الأحيان قد يسهم في نشوء علاقات غير شرعيّة قد تصل إلى حدّ الزنا، أو على أقلّ تقدير ممارسة النظر المحرّم. وقد وردت أحاديث عديدة في ذمّ الديوث الذي لا غيرة له، نذكر منها:

- عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (ع) قَالَ: «حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى النَّمَّامِ وَمُدْمِنِ الْخَمْرِ وَالدَّيُّوثِ وَهُوَ الْفَاجِرُ»[1].

هذه المخالفات للشريعة الإلهيَّة، وترك قيمة الغَيْرة، لا شكّ في أنّها تساهم بشكلٍ مباشرٍ في نشر الفساد والرذيلة في المجتمع، وتؤذي جميع أفراده بجرّهم نحو الانحطاط، فضلاً عن آثارها السلبيّة العائدة على طرفي العلاقة الزوجيّة والأسرة التي تتكوّن بينهما.

---

١ - الصدوق، ثوب الأعمال وعقاب الأعمال، ج١، ص٢٧٠.

المبحث الثالث:
دور الأسرة في التربية على العفَّة والعفاف

● أوّلًا: الجرأة الأدبيّة في فتح النقاش حول التربية على العفَّة

إنّ الكثـير من القضايا التي ترتبـط بالعفَّة ترتبط أيضًا بالبعد الجنسي من حياة الإنسان، فلو طرحت أي فتاة مثلاً مجموعة من الأسئلة التالية:

لماذا يجب عليّ أن أتحجّب وألبس لباساً يستر جمالي وأنوثتي؟.

لماذا يحرم عـليّ التزيّن والتجمّل ووضع مسـاحيق التجميل والمناكير أمام الشباب؟

لمـاذا يحرم عـليّ المفاكهة والمحادثـة الغراميّة مع زمـلائي الذكور في الصفّ؟

لمـاذا يحرم عليّ مصافحة ابن عميّ أو خالي وابن عمّتي أو خالتي، وأنا أشعر اتجاهه بأنّه مثل أخي؟

لماذا لا ينبغي عليّ تليين الصوت وأنا أرى في ذلك أنوثتي الجميلة؟

لماذا يحرم عليّ قص الشعر عند مصفف شعر أو كوافير رجاليّ؟

لماذا يحرم عليّ الرقص في الأعراس المختلطة؟

لماذا يحرم عليّ العلاج وكشـف أعضاء بدني عند طبيب قد أقسـم قسم شرف المهنة؟

.... وهكذا عشرات الأسئلة التي ترتبط بالعفَّة.

إنّ الجـواب عن هذه الأسـئلة -في مكان ما- سـيحيلنا إلى البحث عن القضايا الجنسـيّة، لأنّه سـيفضي إلى الحديـث عن طبيعة تكوين الأنثى وأنّهـا عنصر جمالي يجذب الذكر، وعـن طبيعة تكوين الذكر وأنّـه عنصر ينجذب إلى الأنثى، وأنّ الإسـلام يريـد حماية المجتمع من الغرائز الشـهوانية الجنسـية، ويريد حماية المـرأة من التحرّش في الشـارع، ويريد لها أن لا تبرز جمالها إلّا في دائرة الزوجيّة... إلخ من هذه الأحاديث.

فالحديث عن العفَّة مرتبط بشكل أو بآخر بالحديث عن القضايا الجنسيّة، والتربية على العفَّة في قسم كبير منها هي تربية جنسيّة بالمعنى الأعم.

ونلاحـظ في مجتمعنـا وجـود حالة الخجـل أو الحيـاء في فتح باب النقـاش حول القضايا التي تتعلّق بالعفَّـة خصوصًا التي ترتبط بمواضيع لها طابع جنسيّ، سواء داخل جدران المنزل والأسرة، أو في الصف داخل المدرسـة، أم في المجتمع عامّة، وإذ حصل أن فُتح باب النقاش كما لو حصـل بين الفتاة وأمّها الحديـث عن العادة الشـهريّة أو الحبّ والغرام والتواصل مع الشـباب...، أو بين التلميذ ومعلّمه عن المثْليَّة الجنسيّة أو الاستمناء...، نلاحظ أنّ المشاركين في الحوار يتحرّكون بحذر ويشعرون بالحرج من طرح الأمور كما هي على بسـاط البحث، فلا يعيشـون حالة من الجرأة الأدبيّة أو الحرِّيَّة في التعبير عن الفكرة أو الصراحة.

لعلك تشـاركني الرأي ، أنه يمكن اعتبار البحث عن القضايا التي تتعلّق

بالعفَّـة والتربية الجنسـيّة من أشـدّ أنواع الأحاديث صعوبـة، بنحو يجعل الكلام عن الجنس عند بعضهم ضمن دائرة الممنوع التفكير فيه أو الخوض في الـكلام عن قضاياه وإشـكالياته، وقد نرى البعـض يضعها على رأس لائحة القضايا التي يتحرّج ويسـتحيي من تسـليط الضـوء عليها ويتهرّب من معالجتها، لأنّها أمر معيب إلى درجة يمكن القول: إنّ هناك حساسـيّة وفرط تحسّس Hypersensitivity تجاه هذه القضايا التي ما زالت تُعَدُّ تابو taboo ومحرّمات اجتماعيَّة.

وبطبيعة الحال، هذا اللون من التفكير سيترك بصمته عمليًّا، لأن تصرّف البشر هو وليد تفكيرهم عن الأشياء، فإن من كان التصور سلبيًّا عن الكلام في مثل هذه الأمور، فسـيظهر ذلك في السلوك، حيث سيمتنع عنها نتيجة الشعور بالتحرّج والحساسية والخجل...

● ثانيًا: إعادة بناء التصوُّر الصحيح عن التربية على العفَّة

ويمكـن أن نضيف عنصرًا سـلبيًّا آخر، يُعقدّ عمليـة التثقيف على العفَّة والتربية الجنسـية، وهو الانطباع الخاطـئ عن مفهومهما، إذ قد يتبادر إلى تصور مجموعة من الناس من التثقيف الجنسي معناها الضيق، أي المرتبط بالعلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى.

في حـين أنّ عمليـة التثقيف الجنسي أو التربية عـلى العفَّة هي نوع من التنشـئة الاجتماعيَّـة التـي تمدّ الفـرد بالمعلومـات العلميّـة، والخبرات

الصالحة، والاتّجاهات السليمة إزاء تلك المسائل، بقدر ما يسمح به نموّه الجسميّ والفيزيولوجي والعقليّ والانفعاليّ والاجتماعيّ، وفي إطار التعاليم الدينيّة، والمعايير الاجتماعيَّة، والقيم الأخلاقيَّة السائدة في المجتمع، ممّا يؤهّله للتوافق في المواقف التي ترتبط بالعفَّة والقضايا الجنسيّة ومواجهتها مواجهة واقعيّة [١].

ومن شديد الأسف أنّ تلك الطريقة في التفكير السلبيّ، قد تدفع بعضهم إلى إهمال التربية على العفَّة بمفهومها الواسع والشامل، وترك التربية والتهرّب منها هو في حدّ نفسه تربية، ولكنه تربية خاطئة وفاسدة وغير صحيحة.

ولذلك يمكن عدُّ الخطوة الأولى التي ينبغي أن نمشي عليها تجاه التربية على العفَّة، هي إعادة بناء تصوّر صحيح عنها[٢].

وإذا أردنا رسم بعض معالم التصور الصحيح عن التربية على العفَّة، يمكن تلخيصه في بعض النقاط:

الأولى: التربية على العفَّة هي عملية تعليميَّة تمدّ المتربيّ بالمعلومات الصحيحة الموثوقة المأمونة.

---

١ - انظر: الزعبي، سيكولوجيّة المراهقة النظريّات- جوانب النموّ- المشكلات وسبل علاجها، ص١٢٣. وهرمز، صباح حنّا، إبراهيم، يوسف حنّا، علم النفس التكوينيّ (الطفولة والمراهقة). ومعدي، الحسينيّ الحسنيّ، التربية الجنسيّة للمراهقين والشباب من منظور إسلاميّ.

٢ -أنظر: حاجي، ده آبادي، الحقوق التربويّة للطفل في الإسلام، ص٢٠٧.

الثانيــة: أن يتوافق المحتــوى التعليمي مع المرحلــة العمرية للمتربي[١] وخصائصه النمائية.

الثالثــة: أن يتعامل المربيّ بذكاء مع المعلومات، أي أن يعرف متى يُظهر بعــض المعلومات ومقدار الجرعة التــي يعطيها للمتربيّ ومتى يخفي عنه بعض المعلومات التي لا تتناســب مع ســنّه وعمره ويحتفظ بها بعيدًا عن تداوله إلى أن يصبح في مرحلة عمريّة مؤهّلاً ليتلقاها.

الرابعــة: ألاَّ يتم الاكتفاء بعملية التعليم، بل بتنمية الاتجاهات الأخلاقيَّة التي تجعله إنساناً مهذّباً.

الخامسة: تدريب المتربيّ على تحويل هذه المعلومات إلى سلوك في الحياة.

السادسة: تمرين المتربي على كيفيَّة حماية نفسه من التحرشات وأشكال الإساءة الجنسية.

السابعة: تشمل التربية على العفَّة الرعاية الصحّيّة للنموّ الجنسيّ السليم.

الثامنة: أن تنسجم المعلومات مع التعاليم الدينية.

التاسعة: تشمل التربية على العفَّة قيام أولياء الأمور بالإجراءات التي من شأنها أن تحقق الأهداف المطلوبة.

● ثالثًا: أهداف التربية على العفَّة

نسعى من خلال التربية على العفَّة إلى تحقيق أهداف عدّة، أهمّها:

---

١ - يراجع: القوصي، أسس الصِّحة النفسيّة، ص٤٨٠.

١. غـرس معلومات صحيحة وعلميـة وموثوقة. إذ لو ترك المتربيّ بـدون تربية عـلى العفَّة فإنه سـيتأثر بالمصادر غـير الموثوقة كالأصدقاء والأنترنت والبالغين حديثاً...
٢. تهذيب الغريزة الجنسية وترشيدها.
٣. حماية الشباب والفتيات من مختلف أشكال الإساءة.
٤. حسن التكيّف مع المواقف المختلفة التي قد تتعرّض لها الفتاة أو الشاب في حياته.
٥. الرعاية الصحّيّة للنموّ الجنسيّ السليم.
٦. إضعاف الانجرار إلى الانحرافات الجنسية الخطيرة.

● رابعًا: متى تبدأ عملية التربية على العفَّة؟

أودع الله, سـبحانه وتعالى، في الإنسان منذ ولادته مجموعة من الغرائز التـي تمكّنـه من تأمـين احتياجاتـه ومتطلباتـه في الحياة، وهـذه الغرائز تكـون موجودة في نفس الإنسـان بشـكل قهـريّ لا اختيار لـه في نزعها واسـتئصالها[1]، بل الحـد الأقصى أن يهذّبها ويتحكم بها ويسـيطر عليها في ضـوء العقل والشرع كما ذكرنا في المبحـث الأول، ومن هذه الغرائز: غريزة الميـل إلى الجنس الآخر، والانجذاب إلى الجـمال، وحبّ التزيّن وإبراز الذات بصورة حسنة، ومشاعر الحبّ والغَيْرة و... وهذه الأحاسيس

١ - الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢،ص٤١١.

والمشـاعر تكون مغروسة في الإنسان منذ الطفولة والمبكرة وإن بدرجات ضعيفة جدًّا ثم تبدأ بالنمو التدريجي شيئًا فشيئًا مع مرور الوقت والمراحل العمريّة المختلفـة. وقد أثبتت بعض الأبحاث العلميّة الحديثة ذلك، جاء في موسوعة الحياة الجنسيّة: «يشعر الطِّفل منذ الولادة، بل حتّى قبل ذلك، بالأحاسـيس الجنسـيّة، فالصورة الصوتيّة لجنين عمره ٢٩ أسبوعاً يمكن أن تشـير إلى وجود انتصاب في عضوه الذكريّ، كذلك يحدث الانتصاب لدى الأطفال والأولاد أثناء النوم.

وفي وقت لاحق، ما بين ١٨ شهراً و٣ سنوات، يدرك الطِّفل وجود فارق بين الجنسـين، ويميّز أجزاء جسـمه المختلفة، وهـذا الإدراك يحصل في أثناء اكتسابه اللغة، وتعلّمه كيفيَّة التحكّم بعمليّتي التغوّط والتبوّل.

ما بين ٣ و ٥ سنوات، يطرح الطِّفل بدافع من فضوله، أسئلة عن الأعضاء التناسليّة..

مـا بين ٥ و ١١ سـنة، أي في المرحلة الدراسـيّة الابتدائيّة، يميل الطِّفل إلى الألعـاب المألوفة لدى الأطفال، مثل لعبة الطبيب والممرّضة، أو لعبة الأب والأمّ في البيـت. وبعـض الأطفـال في هذه المرحلة يعرف مشـاعر الحبّ الصادقة والعميقة، بما في ذلك الغَيْرة والرغبة الجنسيّة...»[1].

فأوّل خطوة في التربية على العفَّة أن يقتنع المربون كالوالدين والمعلمين والقادة الكشـفيّين مثلاً بأن الطفل منذ سن مبكرة يملك بعض الأحاسيس الجنسـية التي تتناسـب مع مرحلته العمرية وخصائصه النمائية ، وبالتالي

١ - جان كهن، موسوعة الحياة الجنسيّة، ص٧٨-٧٩.

منـذ الطفولة المبكرة نحتـاج إلى التربية على العفَّة[١]. وفي هذا السـياق، نلاحظ أنّ الإسـلام قـد أكّد أنّ بدايـة التربية على العفَّة، تبدأ من الأشـهر الأولى لولادة الطفل، نعرض بعض النماذج والشواهد المؤيّدة للفكرة.

١. عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «نهى رسول الله أن يجامع الرجل امرأته والصبيّ في المهد ينظر إليهما»[٢].

وقد علّلت بعض الروايـات ذلك بأنّه يُورث الزنا[٣]، وفي روايات أخرى أنّه يكون الولد مشهورًا في الفسق والفجور[٤].

٢. عن رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والذي نَفْسِي بِيَدِه[٥]، لو أنّ رجـلاً غَشِيَ امرأته وفي البيت صبيّ مسـتيقظ يراهما ويسـمع كلامهما ونَفَسَهما، ما أفلح أبداً، إذا كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية»[٦].

● خامسًا: كيف أتعامل مع أسئلة ابني وابنتي؟

ذكرنا في بداية البحث أنّنا نسـمع من أبنائنا وبناتنا مجموعة من الأسئلة،

---

١ - يراجع: عبلة مرجان، التربية الجنسيّة للأطفال حقّ لهم واجب علينا.
٢ - النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص٢٢٨.
٣ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٤٩٩.
٤ - ابنا بسطام، طبّ الأئمّة، ص١٣٣. ويراجع: والحر العاملي، سائل الشيعة، ج٢٠، ص١٣٤.
٥ - الواو في قوله: «والذي» واو القسم، وضمير الهاء، في قوله: «بيده» يعود إلى الله تعالى، فهذه الجملة هي عبارة عن قسم بالله تعالى.
٦ - الكافي، ج٥، ص٤٩٩.

نعيد طرحها من باب التذكير، مثل:

لماذا يجب عليّ أن أتحجّب وألبس لباساً يستر جمالي وأنوثتي؟.

لماذا يحرم عـليّ التزيّن والتجمّل ووضع مسـاحيق التجميل والمناكير أمام الشباب؟

لمـاذا يحرم عـليّ المفاكهة والمحادثـة الغراميّة مع زمـلائي الذكور في الصفّ؟

لمـاذا يحرم عليّ مصافحة ابن عميّ أو خالي وابن عمّتي أو خالتي، وأنا أشعر اتجاهه بأنّه مثل أخي؟

لماذا لا ينبغي عليّ تليين الصوت وأنا أرى في ذلك أنوثتي الجميلة؟

لماذا يحرم عليّ قص الشعر عند مصفف شعر أو كوافير رجاليّ؟

لماذا يحرم عليّ الرقص في الأعراس المختلطة؟

لماذا يحرم عليّ العلاج وكشـف أعضاء بدني عند طبيب قد أقسـم قسم شرف المهنة؟

فالطِّفـل منذ بدايـة حياته يلاحظ أنّه هناك تباينًـا واختلافًا بين أمّه وأبيه، وبين أخته وأخيه، ويشاهد الكثير من المشاهد التي تنمّي لديه هذه الحاسة وهذه الخبرات، مضافًا إلى غريزة حب الاستكشـاف والتعرّف والفضول، حيث يلامس أعضاء جسـده، ويتحسّسـها، ويعبث بها، وينظر إلى أعضاء الآخرين من باب الفضول وحب المعرفة، وقد يدفعه فضوله إلى التلصص واستراق النظر.

وهنا يبدأ بطرح الأسئلة ذات الطبيعة الجنسيّة، مثل: لماذا تمتاز أمّي في شكل جسدها عن أبي؟ ولماذا أمتاز عن أختي/ أخي مثلاً؟ ولماذا أملك عضواً ذكريّاً في حين تفقده أختي؟ ولماذا تحمل أمّي دون أبي؟ ولماذا خالتي أو عمّتي أو... ليست حاملاً؟ وماذا يفعل أبي وأمّي في غرفة النوم؟ لماذا يغلقون الأبواب على أنفسهم؟...[١].

المشكلة الكبرى هنا، أن يشعر الوالدين بالخوف والقلق تجاه هذه الأسئلة، أو بالغرابة والدهشة، فيصدّون الولد بعنف عن طرحها، أو يجيبونها: عيب هذا الكلام، أو يقولون له: ما زلت صغيراً لا تفهم ولا تطرح هذه الأسئلة... إلخ من الأساليب السلبيّة.

أيها الوالدين العزيزين، أيها المربّون الأعزاء، هذه الأسئلة والأفكار تأتي في سياق طبيعيّ لنموّ الطِّفل وفضوله واكتشافه الحياة من حوله.

ينبغي على الوالدين والمربّين:

١. عدم إهمال أسئلة أبنائهم وبناتهم.
٢. أن يتحمّلوا المسؤولية ويكونوا على قدر التحدّي، فإنّ هذا هو دورهم في الحياة.
٣. عدم التهرب من الجواب، فإنّه لا ينفع.
٤. اجتناب الجواب الخاطئ، فإنّه يؤذي.

---

١ - أنظر: مجموعة من الأطبّاء، كيف تتجاوبين مع أسئلة طِفلك الحرجة.

٥. عدم الصدّ عن السؤال، فإنّه يسبب الضرر.
٦. ومع العجز وعدم القدرة على الجواب والتعامل مع هذه المواقف، عليهم بتثقيف أنفسهم والمطالعة، وعليهم باستشارة أهل الخبرة والفن والاختصاص، كل الأساليب السلبيّة التي تقدّمت لا تحل المشكلة بل تزيد من منسوبها، لأنّ الفتاة أو الولد إذا لم يلقَ جوابًا كافيًا من الأهل سيلجأ إلى غيرهم، ويدفعه فضوله إلى البحث عنها خارج دائرة البيت، فيقصد مصادر قد تكون غير موثوقة ومأمونة، أو تفتح أمامه أبواب الصور والمعلومات الإباحيّة، أو يقع فريسة الاستغلال من قبل الآخرين.

● سادسًا: تحذير الشباب والفتيات من المفاهيم الغربيَّة في التربية الجنسيّة

هناك اختلاف جوهري بين أساليب التربية الإسلاميّة على العفَّة وأصولها وبين وجهة نظر بعض علماء التربية وعلماء النفس في الغرب؛ فالإسلام يريد بناء المجتمع العفيف الطاهر الذي تسود فيه القيم الأخلاقيَّة والدينية من السَّتْر والحياء والغَيْرة وحماية المرأة والتحكم بالغريزة والشهوات الجنسيّة وضبط الميل نحو الجنس الآخر.... أمّا هؤلاء فيرغبون في نوع من التربية الجنسية للشباب والفتيات تهمل الجانب الأخلاقي والقيمي، أي تربية ضد العفَّة والحياء والغَيْرة، تربية تريد تقبّل السفور والمثْليَّة

الجنسية والتعرّي والاختلاط المحرّم والمصافحة والتقبيل والأحضان بين الجنسين والصداقة بين الذكور والإناث... نعرض بعض النماذج من أقوالهم المقزّزة والمقيتة.

١. يقول برتراند رسل: «إنّ التربية الأخلاقيَّة المبكرة تصبح مضرّة بصورة خاصّة في ميدان الجنس... لا تعلّموا الولد أيّ آداب جنسيّة قبل أن يبلغ سنّ الرشد، وتجنّبوا بدقّة أن تسرّبوا إليه فكرة أنّ ثمّة شيئاً كريهاً أو منفّراً في وظائف الجسم الطبيعيّة»[١].

٢. ويقول لارسن أولرستام: «... تنظيم التثقيف والتعليم - الجنسيّين - تنظيماً يقضي تدريجيّاً وفي مدّة طويلة على التّزمُّت ومظاهر التقوى المتطرّفة والجهل والرجعيّة. فعلى الآباء والأمّهات أن يشجّعوا رغبة أبنائهم في الاطّلاع على الشؤون الجنسيّة، وأن يبتهجوا بنشاطهم الجنسيّ، فلا يُبدوا لهم القرف أو التبرّم كلّما تناول البحث العلاقات الجنسيّة، فالمعرفة أمضى سلاح لمحاربة التعصّب[٢].

ويجب أن يشتمل التعليم الجنسيّ في المدارس على الانحرافات الجنسيّة، فلا يصفها بأنّها أمراض أو نقائص، بل يعتبرها مخارج شرعيّة لإشباع الغريزة الجنسيّة، ولها قيمة الجِماع الطبيعيّ بين الرجل والمرأة.

---

١ - رسل، غزو السعادة، كيف تصبح سعيداً في الحياة الزوجية-العمل-المجتمع، تعريب سمير شيخاني، ص٧٩-٨٠.

٢ - أولرستام، الشاذّون الجنسيّون، ص١٦٦.

إنّ الذين يتلقّون تنشئة كهذه يربّون أبناءهم تربية حسنة، ولا يُفسدون مفهوماتهم الجنسيّة، فينمو الأولاد نموّاً طبيعيّاً، ولا خوف عليهم إلاّ من الوقوع بين يدي رجل دين متعصّب» .

وكذلك نلاحظ أن عالم النفس الشهير سيجموند فرويد قبل وفاته بأربع سنوات في ردّه على امرأة أميركيّة أرسلت إليه تستفتيه في أمر ابنها اللوطيّ؟ قال لها: «فهمْتُ من خطابك أنّ ابنك لوطيّ، وتأثرت لأنّك لم تذكري ذلك صراحة، إذ تجنّبت استخدام هذا المصطلح «لوطي»، وربمّا سأسألك: لماذا تجنّبت أن تصفيه صراحة بهذا الوصف؟!! إنّ اللواطة ليست شيئاً يمكن أن يفاخر به أحد، ولكنّها أيضاً ليست شيئاً يمكن أن نستشعر منه الخزي، وليست رذيلة، ولا هي بالشيء الذي يجلب العار على صاحبه، ولا يمكن أن ندرجها ضمن الأمراض، وإنمّا نحن نعتبرها اختلافاً في الوظيفة الجنسيّة يترتّب على تعطيل النموّ الجنسيّ، والكثيرون من العصور القديمة والعصر الحاليّ كانوا يمارسون اللواط، ولم يقلّل ذلك من احترام الناس لهم،... ومن الظلم الفادح أن نقول عن اللواط: إنّه جريمة، ومن القسوة أن نَسِمه بهذه السِّمة...»[1].

١ - الحفني، الموسوعة النفسيّة الجنسيّة، ص٧٣٤.

الفصل السادس:

آليَّات نشر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ وسياساتها

المبحث الأوّل:
أساليب التربية الأُسْريّة على العفَّة

تمهيد

هناك أصول وأساليب تربوية وسياسات ثقافية وضوابط قيميّة عدّة يمكن أن تعتمدها الأسرة في التربية على العفَّة والعفاف من أجل الوصول إلى النتيجة المطلوبة وهي بناء فرد طاهر عفيف، وأسرة طاهرة عفيفة، وبالتالي مجتمع طاهر وعفيف.

● أوّلًا: منح الفتاة مساحة من التربية الخاصّة على العفَّة

لا شكّ في أنّ التربية على العفَّة تشمل الذكر والأنثى، ولكن يجدر بالوالدين الالتفات إلى إعطاء الفتاة مساحة مهمّة من التربية الخاصة على العفَّة، فهناك أساليب خاصّة بالذكر وأساليب خاصّة بالأنثى.

فمثلًا، لا شك في أنّ الأنثى تبلغ سن النضوج الجنسي أو التكليف الشرعيّ قبل الذكر.

ولا شكّ في أنّ المطلوب في الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالسَّتْر واللباس والزينة و... من الفتاة في العفَّة هو أكثر من المطلوب من الولد.

فطبيعة الأنثى تستلزم نوعًا خاصًا من أساليب التربية على العفَّة، مثل:

- تأهيل الفتاة على استقبال مرحلة النضوج الجنسي وسن الحيض.

- تمرين الفتاة المميّزة منذ سن ٧-٨ سنوات على اللباس الشرعيّ والسَّتْر والحجاب.
- تدريب الفتاة حرمة الاحتكاك الجسدي مع غير المحرم كالتقبيل والمصافحة واللمس...
- تربية الفتاة على أسلوب الكلام والمحادثة واجتناب تليين صوتها وترقيقه.
- تمرين الفتاة على أنّ لإبداء جمالها وأنوثتها خصوصيّة في المجتمع النسائي، واجتناب التزيّن والتجمّل وإبداء أنوثتها أمام غير المحارم.
- تعليم الفتاة آداب الجلوس الصحيح، على نحو لا تباعد بين ساقيها مثلاً...
- تنبيه الفتاة على اجتناب محادثة الشباب الأجانب ومفاكهتم وممازحتهم...
- تنمية عنصر الحياء عند الفتاة.

نعم، ينبغي الحذر في ضرورة تربية الفتاة على التمييز بين الحياء الإيجابيّ، وبين الحياء السلبيّ، فالحياء السلبيّ هو كل ما يمنع الفتاة من ممارسة حياتها بشكل طبيعي ضمن الضوابط الشرعية والأخلاقيَّة بحيث يؤدي بها إلى الانطوائية، فيمنعها مثلاً عن طرح الموضوعات بجرأة أدبيّة مع أمّها أو صديقاتها.

- تنمية حس الثقة المتبادلة بين الأم والفتاة، من خلال مصادقتها،

لتكون صندوق سرّها، فتطلعها عـلى أسرارها وآمالها وتصوّراتها، وما تمرّ بـه من تجارب وخـبرات، وما يحدث معها من مواقف، فتسـتطيع الأمّ أن توجّه ابنتها وترشدها نحو ما فيه كمال شخصيّتها وصلاحها.

● ثانيًا: أساليب التربية على العفَّة في الملامسة

● تعريف الأولاد على أنّ هناك مناطق حسّاسـة في جسمه خاصّة به، لا يحقّ لأحد الاقتراب منها، وعليه إبداء قمّة الانزعاج والرفض حال حصول ذلك.

● اجتنـاب ما يقـوم به بعض الأهل من باب المـزاح والمفاكهة بتلمّس وتحسّس أعضاء الطفل.

عن الإمام عليّ, عليه السّـلام, قال: «مباشرة المرأة ابنتها إذا بلغت سـتّ سنين، شعبة من الزنا»[١].

وحمل بعض الفقهاء معنى المباشرة على مسّ الفرج[٢].

● تمريـن الفتـاة المميّزة ابتداءً من عمر ٦ سـنوات، عـلى اجتناب كلّ ملامسـة جسـديّة مع غير محارمها، كالمصافحة والتقبيـل والجلوس في الحضن... وقد أكّدت الروايات هـذه الفكرة التربويّة، نعرض نماذج عدّة منها لأهميّتها:

---

١ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٣٦.

٢ - محمد تقي المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج٨، ص٣٤٤.

سـأل أحمد بن النعمان أبا عبد اللَّه عليه السلام، فقال له: عندي جويرية [تصغير جارية، أي فتاة صغيرة] ليس بيني وبينها رحم، ولها سـتّ سنين؟ قال عليه السلام: «لا تضعها في حجرك»[١].

وعنه, عليه السّـلام أنّه قال: «إذا بلغت الجارية الحرّة سـتّ سـنين، فلا ينبغي لك أن تقبّلها»[٢]. وعنه, عليه السّـلام قال: «إذا بلغت الجارية سـتّ سنين، فلا يقبّلها الغلام. والغلام لا يقبّل المرأة إذا جاز سبع سنين»[٣].

وعن الإمام الكاظم عليه السـلام: «إذا أتت على الجارية سـتّ سنين لم يجز أن يقبّلها رجل ليس (هي) بمحرم (له)، ولا يضمّها إليه»[٤].

● ثالثًا: أساليب التربية على العفَّة في النظر:

● اجتنـاب الوالديـن أي لـون من ألـوان العلاقة الحميميـة أمام مرأى ومسمع الأولاد.

● تعويـد الأولاد عـلى الاسـتئذان عند إرادة الدخول عـلى خلوة الأب والأمّ، أو أيّ فـرد آخر مـن أفراد الأسرة في غرفته، فلعلـه يقوم مثلاً بتغيير ملابسه...

يقول ,تعالى،: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم**

١ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٣٦.
٢ - الكافي، ج٥، ص٥٣٣.
٣ - من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٣٧.
٤ - الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٧، ص٤٦١.

والذيـن لم يبلغـوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبـل صلاة الفجر وحين تضعـون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشـاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضهم على بعض كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم* وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استئذن الذين من قبلهم...﴾[سورة النور:٥٨-٥٩].

فهـذه الآية تحفّز الوالدين على تربية الأولاد على أسـلوب من أسـاليب التربية على العفَّة.

- تعريف الأولاد على الأعضاء التي لا ينبغي لأحد النظر إليها.
- تربيـة الأولاد عـلى مسـاوئ ومفاسـد النظـر إلى عـورات الآخرين والتلصّص عليها[١].
- تربية الأولاد على اجتناب مشـاهدة البرامج التلفازيَّة والمسلسـلات والأفلام والمواد التي تحتوي على مشاهد مخلّة بالأدب والعفَّة والحياء.

رابعًا: أساليب التربية على العفَّة في اللباس:

- تدريب الأولاد على ارتداء الملابس الداخليّة بأنفسهم منذ سن مبكرة.
- تربية الأولاد على ستر أنفسهم واجتناب التعريّ أمام أيّ كان.
- تمرين الأولاد على ضرورة إغلاق الباب عند تغيير الملابس.
- التفـات الأمّ أو الأخـت أو غيرهما، إلى ارتداء اللبـاس الذي يراعي

١ - النراقي، مستند الشيعة، ج١٦، ص٣٥.

العفَّة داخل المنزل.

- اجتناب تغيير الملابس أمام ناظرَيْ الأولاد.
- تعليم الأولاد التمييز بين مصاديق المحرم وغير المحرم في السَّتْر واللباس.

● خامسًا: أساليب التربية على العفَّة في الكلام:

- اجتناب استخدام الألفاظ الفاحشة أمام الأولاد.
- اجتناب الكلام أمام الأولاد عن العلاقة الخاصّة بين الأب والأم. يقول الشهيد الثاني: «ويستحبّ مؤكّداً إضافة السَّتْر المكانيّ والقوليّ إلى السَّتْر الزمانيّ»[1].[2]
- التأدّب في استعمال الألفاظ وحسن اختيارها للتعبير عن المسائل الجنسية والحميميّة وغيرها.
- اجتناب الحديث عن الطرائف الجنسيّة على مسمع الأولاد.
- اجتناب التصريح بأسماء الأعضاء الجنسية.
- تعويد الأولاد على اجتناب استعمال الألفاظ غير المؤدّبة التي تتنافى مع العفَّة والحياء.

١- المقصود بالستر الزمانيّ هو استحباب أن يكون الدخول ليلاً، لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «زفّوا عرائسكم ليلاً». الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٧، ص٤١٨، ح١٦٧٦.

٢ - الشهيد الثاني، مسالك الأفهام، ج ٧، ص٢٤.

● **سادسًا: أساليب التربية على العفَّة في النظافة الشخصيّة:**

● تمرين الأولاد على إغلاق باب الحمّام عند إرادة الاستحمام أو قضاء الحاجة.

● تعويد الطفل منذ سن مبكرة على دخول بيت الخلاء بنفسه لقضاء حاجته، وتدريبه على الاستحمام بنفسه، والاهتمام بنفسه بنظافة أعضائه وطهارتها، أو وضع الكريمات أو غيرها على المناطق الحسّاسة من جسمه.

● **سابعًا: أساليب التربية على العفَّة في النوم:**

● تعويد الأولاد على النوم في سريره أو غرفته وعدم مشاركة الوالدين فراشهما.

● تعويد الأولاد على نوم كلّ منهما منفصلاً عن الآخر، وليس في الفراش ذاته.

● تأمين غرفة مستقلة لنوم الفتيات ونوم الذكور، أي الفصل بين الذكور والإناث في المبيت.

وقد ركّزت الروايات عن النبي وأئمة أهل البيت, صلوات الله عليهم, ضرورة الفصل بين الأولاد في المضاجع[1].

١ - انظر: الكليني، الكافي، ج٦، ص٤٧.

● **ثامنًا: الرقابة الذكيّة على تصرفات الأولاد**

ينبغي على الوالدين إعطاء أولويّة خاصّة لمراقبة تصرفات الأولاد وعلاقاتهم بذكاء، فقد تصدر عنهم بعض التصرفات المخلّة بالآداب والعفَّة والحياء كمحاكاة بعض المشاهد التلفازيَّة مثلاً...

فمثلاً لنأخذ طفلاً عمره ٨ سنوات نموذجًا، فإنّه بدافع الفضول أو التقليد أو أيّ سبب آخر، قد يأتي ببعض التصرفات والعلاقات المشبوهة التي فيها إيحاءات جنسيّة، كأن يقبّل فتاة على فمها، أو يتحسّس أعضاء أخيه الجنسيّة، أو يتلصّص على شخص أثناء تغيير ملابسه، أو على أحد أثناء استحمامه... لذا، ينبغي أن تخضع علاقات الأولاد لمراقبة ذكيّة من قبل الوالدين، خصوصاً في سنّ التمييز.

وفي هذا السياق، ينبغي مراقبة سلوك الآخرين مع الطِّفل نفسه، فقد يقوم الطِّفل الأكبر سنّاً أو الراشد باستغلال الطِّفل جنسيّاً من دون أن يشعر أهله بذلك نتيجة ثقتهم. لذا، ينبغي أن يكون مبدؤهم في هذا المجال هو الثقة الممزوجة بالحذر، كما في الروايات التي ذكرناها في مبحث التربية على الصداقة، منها: عن الإمام الصادق, عليه السلام: «لا تثقنّ بأخيك كلّ الثقة، فإن سرعة الاسترسال لا تُستقال»[١].

وبناء عليه، ينبغي عدم ترك الطِّفل مع أشخاص غير موثوق بهم وإن

١ - الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٧٢.

كانوا من الأقارب، فالتحرّش الجنسيّ مثلاً بالأطفال غير مختصّ بالغرباء، بل أكّدت دراسات عدّة أنّ نسبة ٧٥ ٪ من التحرّشات الجنسيّة والإساءات التي يتعرّض لها الطِّفل، تصدر عن أشـخاص معروفين للضحيّة ومألوفين عنـده، وتربطـه بهم علاقة قـربى أو معرفـة[١]. فضلاً عن أنّ الأشـخاص الموثـوق بهم قد يقومـون بتصرفات خاطئـة أمام الطِّفـل، كالفحش من القول، أو مشاهدة الأفلام التي تحتوي مشاهد تنافي العفَّة والحياء...

١ - يراجع: زكي، عماد، الطِّفل العربيّ والمستقبل.

المبحث الثاني:
نماذج مقترحة لِـ: سياسات نشر ثقافة الحجاب والعفاف في المجتمع

● أوّلًا: مسؤوليّة المرأة المحجَّبة:

إنّ لكلّ فعل إنسانيّ ظاهرًا وباطنًا، ومن أجل بلوغ درجة من الكمال في هـذا الفعل أو ذاك، لا بدّ لظاهره أن يتطابق مـع باطنه، وإلّا فعدم التطابق يبرز مشكلةً تريد حلًّا.

وكذا الحجاب الذي كنّا قد تحدثنا عن فلسـفته وجوهريّته في المباحث المتقدّمـة، فلا بدّ لظاهـره المعروف باللباس السـاتر وغطـاء الرأس، أن يتطابق مع باطنه وجوهره وهو العفَّة والحياء، ليكتمل مشهد السَّتْر وتتحقّق فلسفة الحجاب وتؤتي ثمارها وأكلها المطلوبة في المجتمع الإسلاميّ.

إنّ فلسفة السَّتْر المقرونة بقيمة العفَّة لا بدّ لها من أن تبدو جليّةً في شكل المرأة المحجَّبة. والالتزام بضوابط الحجاب شكليًّا -كاللّباس الفضفاض والابتعاد عن الزينة- من شـأنه أن يفضي إلى ذلك الهدف. كما أنّ سـلوك المـرأة المحجَّبة مـن المفترض أن يُـبرِز قيمة الحياء الكامنة في نفسـها. فعـلى المرأة المحجَّبة -مثلًا- الابتعاد عـن مجالس اللّغو واللّهو، وتجنّب الاختـلاط المذموم، كما يجـب عليها الالتفات إلى طريقة مشـيها، ونبرة صوتها، من أجل تحقيق ذلك الهدف الذي ذكرناه. ولا ريب في أنّ العمل على إبراز صورة راقية عن المرأة المسـلمة من خلال حجابها، سوف يترك

أثـرًا إيجابيًّا في نفوس الآخريـن مطلقًا، وخصوصًا الفتيـات، إذ إنّ الفتاة الملتزمة بحجابها تملك شيئًا من الوقار والهيبة، الذي لا محال سوف يثير إعجاب الفتيات اللّواتي سـيدفعهن الفضول للبحث عن سبب تلك الهيبة وذلـك الوقار. ذلك البحث الذي من شـأنه أن يعرّفهـنّ على مكانة المرأة في الإسلام، وحرصه على حمايتها وتحصينها من خلال سترها وحيائها.

● **ثانيًا: دور علماء الدّين:**

لعلـماء الدّين دورٌ بـارزٌ في التعريف بالحجاب الشرعـيّ والدفاع عنه، وتقديمـه بصورة محبّبـة إلى نفوس الناس خصوصًا النسـاء، حيث تكمن مهمّتهم في إزاحة الشـبهات المطروحة في مسألة الحجاب بالاستناد إلى الأدلّـة القرآنيَّة والأحاديث الشريفة والشـواهد التاريخيّـة، وتحديدًا تلك الشّـبهات التي تعرّضنا لبعضها في المباحث السـابقة، المطروحة من قِبَل مدّعـي التنويـر وإرادة التجديـد والتحديث في التراث الدينـيّ والشريعة الإسـلاميّة لتكون حسـب زعمهـم مواكبة لتطـوّرات العصر ومسـتجيبة لمتطلّبـات التقدّم والتطـوّر. كما أنّ عليهم التصدّي للإجابة عن الأسـئلة المطروحة مـن قبل الجيل المعاصر من الفتيات والشـباب بطريقة علميّة تحاكي عقل الفتيات وطريقة تفكيرهنّ.

ويجدر بعلماء الدّين اسـتثمار كلّ فرصة ومناسبة -خصوصًا المناسبات الدينيّـة المُتعلّقـة بأهـل البيـت- عليهم السـلام- لطرح قضيـة الحجاب

والحديث عنها، وتحديدًا عند وجود السافرات أو فتيات حجاب الموضة، واجتناب التذرّع بأنّه سيخسر قسمًا من هذا الجمهور والمتابعين حال تعرّضه لهذه القضية وفتحه النقاش حولها.

● **ثالثًا: دور المؤسّسات التربويّة والتعليميّة:**

ينبغي على المؤسّسات التربويّة الإسلاميّة أن تؤدّي دورًا مهمًّا في هذا المجال، من خلال جعل الحجاب زيًّا رسميًّا داخل حرمها، ممّا يتيح الفرصة لنشره بين الفتيات المنتسبات إلى تلك المدرسة أو الجامعة، ويغلق باب الخلاعة والمظاهر المنافية للستر والحياء. إضافة إلى ذلك إقامة حفلات التكليف للفتيات اللّواتي يبلغن سنّ التكليف، في سبيل ترك بصمة إيجابيّة وذكرى سارّة عن يوم ارتدائهنّ للحجاب تنطبع في أذهانهنّ لمدّة طويلة. ومن المسائل الجوهريّة في هذا المجال، اعتماد إدارة المؤسّسات التربويّة سياسة توظيف المعلّمات المحجّبات، بما أنّهن يُمثّلن قدوة للتلميذات والطالبات.

● **رابعًا: دور السينما والإنتاج التلفازيّ:**

لمّا كان للتلفاز والسينما دورٌ فعّال في تكوين تصورات الجمهور وانطباعاته عن الشخصيّات الحاضرة في العمل السينمائيّ والتلفازيّ؛ لذا يجب على صنّاع السينما أو الفضائيّات الإسلاميّة التركيز على إظهار صورة حسنة

وواقعيّة عـن الفتاة المحجَّبة، مع الالتفات إلى الحفـاظ على قيمتي العفَّة والحيـاء، ومحاكاة حياة المرأة المحجَّبة بطريقة تقدّمها كغيرها من النسـاء اللّواتي يعشـن حياةً طبيعيّةً، بتسليط الضوء على حياتها العلميّة وإنجازاتها الأدبيّـة ونجاحاتها العمليّة، بالإضافـة إلى الجوانب الأسريّة والاجتماعيَّة، فضلاً عن مشاركتها في الحياة العامّة الثقافيّة والسياسية والإعلاميّة...

هـذه الصورة من شـأنها أن تهـدم فكرة أنّ الحجـاب يشـكّل عائقًا أمام الطموحات العلميّة والعمليّة للفتاة، حيث يمكن للحجاب أن يشـكّل دافعًا إضافيًّا للفتاة المحجَّبة التي تعمل على إثبات حضورها القويّ في مجتمعها.

● خامسًا: دور وسائل الإعلام:

يكمـن دور وسـائل الإعـلام الإسـلاميّة في مجموعة مـن الإجراءات والسياسـات، على رأسـها الاهتمام بصورة الإعلاميّة المحجَّبة التي تظهر على شاشـات تلك الوسائل، من حيث التزامها بالضوابط الشرعيّة للّباس، واجتناب الزّينة المُحرّمة.

وأن يتصدّر قائمة أولوياتها: بثّ الفيديوهات القصيرة، أو المنشـورات، أو البانوهـات ولوحات الإعلان، أو الجداريّات التي تنشر ثقافة الحجاب وتعمل على إيضاح قيمته المعنويّة التي من شأنها تكريم المرأة وحمايتها، فضلاً عن تعظيم الاقتداء بنساء آل البيت الأطهار والصحابيات الجليلات من خلال الالتزام بالحجاب الشرعيّ.

● **سادسًا: دور الحكومات الإسلاميّة:**

ينبغي على الحكومات الإسلاميّة أن تعطي أهمية خاصّة لنشر ثقافة السَّتْر والحجاب، وسنّ القوانين التي تمنع مظاهر السفور والخلاعة في المجتمع، ممّا يوفّر شعورًا للمرأة المحجَّبة بأنّها تعيش في مجتمع مشابه لها وتنتمي إليه. كما ينبغي على الحكومات الإسلاميّة تأمين البيئة الحاضنة للمرأة المحجَّبة لتعيش حياتها بأريحيّة، وتمارس أنشطتها المشروعة في مناخ مفعم بالأنس والطمأنينة، كأن تعمل الإدارات الحكوميّة الخاصّة على إنشاء فعاليّات ثقافيّة للفتيات المحجّبات، كالأندية الرياضية، والمسابح، والفرق الموسيقيّة الخاصّة بالفتيات ليمارسن هواياتهنّ.

وفي حال تقصير الحكومات الإسلاميّة عن القيام بدورها في هذا المجال، ينبغي على المؤسسات الأهليّة والدينيّة ملء هذا الفراغ بالإمساك بزمام المبادرة، كتلك التي شرعت بها المؤسّسات التابعة للعتبات المقدّسة في العراق، حيث أقامت حفلات التخرّج الخاصّة بالمحجّبات، بهدف إعطائهنّ فرصة الاحتفال بنجاحهنّ ضمن الضوابط الشرعيّة، بعد أن لوحِظَ انتشار المظاهر المنافية للعفّة في حفلات التخرّج في بعض الجامعات العراقيّة.

تلك المبادرات والفعَّاليات تمنح الفتاة المحجَّبة فرصة الوجود في أجواءٍ تحاكي تطلّعاتها والتزامها بالضوابط معًا، كما تشعرها بالتميّز وبأنّ الحجاب لا يعيق طموحاتها العلميّة أو مواهبها.

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

■ أحمد البرقيّ: المحاسن، مجمع جهاني اهل بيت عليهم السلام، إيران، ط٣، ١٣٧٠ هـ.

■ أحمد بن محمّد مهدي النراقيّ: مستند الشيعة، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مشهد، ١٤١٥هـ.

■ حسن الطبرسي (الميرزا النوري): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

■ الحسن بن الفضل (الشيخ الطبرسي): مكارم الأخلاق، ط٦، ١٩٧٢م.

■ الحسن بن علي ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

■ حسين البروجردي: جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ه.

■ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ.

■ زين الدين بن علي (الشهيد الثاني): مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، تحقيق ونشر مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ط١، ١٤١٣هـ.

■ سليمان بن الأشعث (أبو داود السجستاني): تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م.

■ عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد): شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط٢، ١٩٦٧م.

■ عبد الله بن جعفر الحميري: قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، ط١، ١٤١٣هـ.

■ عماد زكي: الطِّفل العربيّ والمستقبل، دار المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

■ محمد الريشهري: ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٣٧٥ه.

■ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ق.

■ محمّد بن الحسن (الحرّ العامليّ): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم المشرفة، ١٤١٤ه.

■ محمّد بن الحسن (الشيخ الطوسيّ): تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٤، ١٣٦٥ه. ش.

■ محمّد بن الحسين (الشريف الرضي): نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة، بيروت.

■ محمد بن شاه مرتضى (الفيض الكاشاني): علم اليقين، تصحيح محسن بيدارفر، انتشارات بيدار، قم، ط١، ١٤١٢هـ.

■ محمّد بن عليّ ابن بابويه (الشيخ الصدوق): الخصال، منشورات جماعة

المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، ١٤٠٣هـ.

■ ----------: ثواب الأعمال، منشورات الرضي، قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

■ ----------: علل الشرائع، مكتبة الداوري، قم، بالأوفست عن طبعة المكتبة الحيدريّة في النجف سنة ١٣٨٦هـ.

■ ----------: من لا يحضره الفقيه، الناشر مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ، قم، إيران، ط ٢، ١٤١٣ق.

■ محمّد بن مكرم ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المحقّق روحيّة النحاس ورياض مراد ومحمّد مطيع، دار الفكر للطباعة، دمشق، ط١ـ ١٤٠٢ه.

■ محمّد بن يعقوب الكلينيّ: الكافي، تعليق وتصحيح علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

■ محمّد تقي المجلسيّ: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، بنياد فرهنك اسلامي حاج محمّد حسين كوشانيور، إيران، ١٣٦٤ هـ.

■ محمّد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

■ محمد مهدي النراقي: جامع السعادات، تحقيق السيد محمد كلانتر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

الفهرس

٥ | مقدمة

الفصل الأول | ٩
تأصيل مفهوم العفَّة في الرؤية الإسلاميّة

١١ | **المبحث الأوّل:** بناء المجتمع العفيف في القرآن ومدرسة أهل البيت(ع)

١٧ | **المبحث الثاني:** تحليل مفهوم العفَّة في ضوء علم الأخلاق الإسلاميّ

٢٧ | **المبحث الثالث:** تشابك قيمة العفَّة مع الحياء والغَيْرة

الفصل الثاني | ٣٣
الحرب الثقافيّة على الحجاب

٣٥ | **المبحث الأوّل:** في مفهوم الحجاب

٣٧ | **المبحث الثاني:** الحرب الغربيّة على الحجاب

٤٣ | **المبحث الثالث:** الحرب على الحجاب في العالمَيْن العربيّ والإسلاميّ

٥٢ | **المبحث الرابع:** محاولة التشكيك بفريضة الحجاب وإنكار وجوبه

الفصل الثالث | ٦١
مظاهر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ

٦٣ | **المبحث الأول:** الضوابط الشرعيّة للحجاب في الإسلام

٦٧ | **المبحث الثاني:** السّفور المُقنَّع والحجاب المودرن

٧١ | **المبحث الثالث:** العفاف في أسلوب الحياة (النظر، اللَّمس، الحديث، المشي...)

الفصل الرابع | ٨١
العفاف وبعض التحدِّيات المعاصرة

٨٣ | **المبحث الأول:** العفاف والطَّبابة والتَّمريض

٩٠ | **المبحث الثاني:** العفاف ونشاط المرأة الاقتصاديّ

٩٣ | **المبحث الثالث:** العفاف والنشاط الثقافيّ والإعلاميّ والفنيّ

الفصل الخامس | ٩٧

٩٩ | **المبحث الأول:** دور الزواج في العفاف الأسْريّ والاجتماعيّ

١٠٨ | **المبحث الثاني:** دور غَيرة الزوج في تنشيط ثقافة العفاف

١١١ | **المبحث الثالث:** دور الأسرة في التربية على العفَّة والعفاف

الفصل السادس | ١٢٥

آليَّات نشر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ وسياساتها

١٢٧ | **المبحث الأول:** أساليب التربية الأُسْريّة على العفَّة

١٣٦ | **المبحث الثاني:** نماذج مقترحة لِـ: سياسات نشر ثقافة الحجاب والعفاف في المجتمع

١٤١ | **لائحة المصادر والمراجع**

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

العفّةُ والحياءُ والغيرةُ ترتبطُ فيما بينها بنحوٍ وثيق لبناء مجتمع طيّب وطاهر يساهم في مشروع الخلافة الإلهيّة، والتمهيد لدولة صاحب الزّمان (عج)، فلا يكونُ همُّ أفراد المجتمع إشباعَ غرائزهم ولذائذهم الماديّة ومتعتهم الجسديّة، تحت شعارات الحريّة والتقدّم والانفتاح، تأثّرًا بالثقافة الغربيّة والعلمانيّة التي تتجاوز العفّة، فتهين المرأة وكرامتها التي منحها الله تعالى إيّاها، فأصبحَ السفورُ والتبرّجُ شائعًا، والملابسُ الضيّقةُ منتشرةً، والاختلاطُ غيرُ المنضبط أمرًا رائجًا، والمثليّةُ الجنسيّةُ حريّةً شخصيّةً، وقلّةُ غيرة الرجال على نسائهم انفتاحًا، وقلةُ الحياء عند النساء جرأةً وشجاعةً، والسّترُ والحجابُ تخلّفًا ورجعيّةً، والالتزامُ بضوابط الشريعة بغضّ البصر واجتناب المصافحة للأجنبيّ عقدةً نفسيّةً.

في هذا الكتيّب سلّطنا الضّوءَ على مفهوم العفّة والعفاف، وبيّنّا أهميّتهما في ضوء منطق القرآن ومدرسة أهل البيت وعلماء الأخلاق المسلمين، وعرّجنا على بيان دوافع الحرب الغربيّة وبعض الحكومات والأنظمة على الحجاب والعفّة والحياء، وذكرنا بعضَ النماذج على ذلك، وتوقّفنا عند كيفيّة تأثّر مجتمعاتنا بهذه الحرب الثقافيّة والحضاريّة، وشرْحنا كيفيّةَ مواجهة هذه الأدوات والوسائل، بهدف تثقيف جيل الشباب على ضرورة العفّة، وتنمية الوعي بأساليب المواجهة، ليساهمَ كلٌّ منّا في بناء المجتمع العفيف والطاهر والطيّب.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد